التجديد في الادب الاندلسي

الدكتور باقر سماكه

يطلب من مكتبة افاق - شارع المتنبي



التجديد في الأدب الأندلسي

الدكتور باقر سماكه

كلية الاداب ـ جامعة بغداد

مطبعة الايمان ـ بغداد

١٩٧١

الإهداء

إليك يا - اندلس - الاحباب يا جنـة العلـوم والآداب

يا درة مضيئـة الإهـاب أضاءها البحـار فى التراب

يا غـادة كريمـة الأنساب فى الغرب تقضي العمر باغتراب

من روضك المعطر الخلاب اهديك ما قد ضمه كتابي

المؤلف

التجـديد

في الادب الاندلسي

مقدمة

تاريخية موجزة

كان العرب الفاتحون قد امتدت فتوحاتهم الى مصر فالقيروان فبلاد البربر اسسوا هناك دولة ذات مدنية مرموقة وتوغلوا في افريقيا عام ٥٠ هـ ايام خلافة معاوية بن ابي سفيان بقيادة عقبة بن نافع الذي انشأ مدينة القيروان فانتشروا في بلاد البربر في شمال افريقيا واسلم سكانها وفى سنة ٨٢ هـ عهد الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك الى موسى بن نصير بفتح الاندلس فاذن له الوليد بشرط ان يسلك للامر مسلك الحذر والا يغرر بالمسلمين في بحر شديد الاهوال ، فجهز حملة قليلة العدة والعدد اقرب ما تكون حملة استطلاع منها الى حملة فتح (فبعث موسى بن نصير عند ذلك رجلاً من البربر يسمى طريفاً ويكنى ابا زرعة في مائة فارس واربعمائة راجل(١) فحملتهم اربع سفن الى اقطاعة الفندال (التي ابحر منها جماعات الفنداليين فى هجرتهم الى افريقية فسميت باسمهم وقيل لها فندلس وهي اول ارض وطئها العرب من اسبانية وعرفوا اسمها فحرفوه

---

(١) المراكشي ، البيان المغرب في اخبار ملوك الاندلس والمغرب ج ٢ ص٤ ط ، دار الثقافة ، بيروت (لم يذكر تاريخ الطبع .

وقالوا اندلس(٢) . (وقيل ان اول من نزل الاندلس بعد الطوفان قوم يعرفون بالاندلش (بشين معجمــة) فسميت الاندلس (بالسين غير معجمة(٣)) (ثم دخل القوط الاندلس وقطع الله ملك روما منها وعدة ملوك القوطيين ستة عشر ملكاً آخرهم لذريق(٤)

وقد بقي افراد الحملة التي قدمت الى الاندلس وقتا قصيراً حصلوا خلاله على بعض المغانم ثم رجعوا من حيث اتوا ، والظاهر ان نجاح هذه الحملة شجع على التفكير بالعودة الى الاندلس فأعد موسى حملــة ثانية اوسع بكثير من الحملة الاولى تضم سبعة آلاف محارب يقودهم قائد شجاع هو طارق بن زياد وكان ذلك سنة ٩٢ هـ (٥) المصادفة ٧١١م وطارق هذا هو صاحب الخطبة الشهيرة التي خطبها في جيشه بعد عبوره مضيق الجبل الذي سمي فيما بعد بأسمه وهذه الخطبة من اهم الخطب التي سجلها تاريخ الفتوحات الاسلامية ، يقول فيها (ايها الناس اين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو امامكم وليس لــكم والله الا الصدق والصبر واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيع من الايتام على مائدة اللئــام وقد استقبلكم عــدوكم بجيشه واسلحته واقواته موفورة وانتم لا وزر لــكم الا سيوفكم ولا اقوات الا ما تستخلصونه من ايدي عدوكم وان امتدت

---

(٢) البستاني ، ادباء العرب فى الاندلس وعصر الانبعاث ، ص ٣ ، ط مكتبة صادر . بيروت ١٩٣٨

(٣) المراكشي ، البيان المغرب ، ج د ، ص٣ .

(٤) المصدر السابق ص ٢

(٥) ابن القوطية . تاريخ فتح الاندلس ص٥ . ط المحروسة مصر (لم يذكر تاريخ الطبع) .

بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امراً فقد ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب عن رعبها منكم الجرأة عليكم فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من امركم بمناجزة هذا الطاغية فقد القت به اليكم مدينته الحصينة وان انتهـاز الفرصـة فيه لممكن ان سمحتم لانفسكم بالموت ، واني لم احذركم امراً انا عنه بنجوى ولا حملتكم على خطة ارخص متاع فيهـا النفوس ابدأ عنها بنفسي واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالأرفه الألذ طويلاً فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه اوفر من حظي وقد انتخبكم الوليـد بن عبد الملك امير المؤمنين من الابطـال ووضيكم لهذه الجزيرة اصهاراً واختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان واسماحكم بمجالدة الابطـال والفرسان ليكون حظـه منكم ثواب الله على اعـلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصاً لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين واعلموا اني اول مجيب الى ما دعوتكم اليـه واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فأقاتله ان شاء الله تعالى فان هلكت بعده فقد كفيتكم امره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون اموركم اليه وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني فى عزيمتي هذه واحمـلوا بأنفسكم عليه فانهم بعده يخذلون) ويروى ابن عـذارى المراكشي فى كتابه البيان المغرب عن الواقدي وصفاً للمعركة التي وقعت بعـد ذلك بين جيشي طارق وللذريق فيقول انهم اقتتلوا من حين طلعـت الشمس الى ان غربت فلم تكن قط بالمغرب مقتتلة اعظم منها بقيت عظامهم في المعركة دهراً طويلاًلم تذهب) (٦) ويذكر المؤرخ الاسباني بوستامنت

---

(٦) المراكشي البيان ص ٧

(Bustamante) (ان المعركة استمرت سبعة ايام من ١٩ تموز - ١٦ / ٧١١ م) (٧) وتم الفتح وتوغل طارق في الاندلس مما اثار حسد موسى بن نصر فغضب على طارق ويشير الى ذلك الطبري فيقول (ان موسى بن نصير غضب على طارق في سنة ٩٣ فشخص اليه في رجب ومعه عقبة بن نافع الفهري واستخلف حين شخص على افريقية ابنه عبد الله بن موسى بن نصير وعبر موسى الى طارق في عشرة آلاف (٨)

ولعل هذه الحادثة اول اسفين يوضع في اسس هذه الدولة الفتية واول بذرة للشقاق في الارض الاندلسية .

لقد مرت على الاندلس ثلاثة عهود بارزة هي :

عهد الولادة : يبدأ هذا العهد بطارق بن زياد ، وقد تميز بظهور الخلافات بين البربر والعرب وبالعصبية القبلية بين الفاتحين انفسهم ، مثال ذلك ما ظهر بين القيسيين واليمانيين يضاف الى ذلك ان الجنود الشاميين الذين اسهموا بالفتح لعبوا دوراً كبيراً في البلاد وقاوموا البربر كل ذلك استدعى التفكير بتأسيس دولة قوية تستطيع ان تصمد امام اعدائها في الداخل والخارج وقد ساعد ذلك عبد الرحمن الداخل على تأسيس هذه الدولة الجديدة وبتأسيسها بدأ الدور الثاني من عهود الاندلس حيث اصبحت قرطبة عاصمة للاندلس وذلك عام ١٣٥ هـ فقطعت الخطبة لبني العباس ودعى لعبد الرحمن على المنابر ويعتبر هذا

---

(٧) C. Perez-Bustamante Compendio De . Historia De Espana P. 89 ‘ Madrid . 1957

(٨) الطبري ، تأريخ الامم والملوك ج٥ ص ٢٥٥ - ٢٥٦ ط ، الاستقامة القاهرة ١٩٣٩

العهد عهد الأمارة المستقلة ويتميز بتعزيز السلطة الاموية وباحاطة الملك بمظاهر الأبهة وبتنظيم امور الجيش تنظيماً جديداً وقد اسهب المؤرخون بوصف قرطبة والقرطبيين فى ذلك العهد ويكفي ان نثبت ما اورده ابن بسام في ذخيرته حيث قال (وحضرة قرطبة منذ انافتتحت الجزيرة هي كانت منتهى الغاية ومركز الراية وام القرى وقرارة اهل الفضل والتقى ووطن اولي العلم والنهى وقلب الاقليم وينبوع متفجر العلوم وقبة الاسلام وحضرة الامام ودار صوب العقول وبستان ثمرة الخواطر وبحر درر القرائح ومن افقها طلعت نجوم الارض واعلام العصر وفرسان النظم والنثر وبها انتشأت التأليفات الرائقة وصنفت التصنيفات الفائقة) (٩) اما عن اهل قرطبة فيذكر ابن بسام (ان افقهم القرطبي لم يشتمل قط الا على اهل البحث والطلب لأنواع العلم والادب وبالجملة فأكثر اهل بلاد هذا الافق اشراف عرب المشرق افتتحوها وسادات اجناد الشام والعراق نزلوها فبقى النسل فيها بكل اقليم على عرق كريم فلا يكاد بلد يخلو من كاتب ماهر وشاعر قاهر ان مدح ما كثير عنده بكثير وان هجا اخرس لسان جرير (١٠) وبعد هذا العهد الاموي الذي امتد وتطور الى اعلان الخلافة الاموية على يد عبد الرحمن الثالث سنة ٣٠٠هـ بدأ العهد الثالث للحكم الاندلسي على اثر ضعف الخلافة الاموية وهو عهد ملوك الطوائف الذي تميز بتمزيق اوصال شمل الاندلس وتقسيمها الى دويلات صغيرة كالدولة الزيرية في غرناطة والدولة الهودية فى

---

(٩) ابن بسام ، الذخيرة ، ج١ ص٢٢ ط ، لجنة تأليف والترجمة والنشر ، القاهرة سنة ١٩٣٩ .

(١٠) المصدر السابق والصفحة ـ ٢٣

سرقسطة والدولة الحموية في قرطبة والدولتين العبادية والعامرية في اشبيلية ، وبكثرة الفتن والقلاقل بين تلك الدويلات ممـا مهد للاسبان المتربصين طريق العودة للاندلس ، وبعد ان استطاع الاسبانيون السيطرة على اكثر البلدان الاندلسية حاصروا غرناطة وذلك عام ٨٩٦ هـ ١٤٩٠ م فسلمها لهم آخر حاكم عربي في الاندلس هو ابو عبد الله عـام ٨٩٧ هـ (١٤٩١) م ويروى ان ابا عبد الله هذا خرج من قصور الحمراء مع اهله مطأطأ الرأس يخيم عليه الحـزن واليأس الشديدان وعندما كادت غرناطـة وقصور الحمـراء وحدائقها تختفي رويداً رويـداً وقف والقى آخر نظرة عليها ، هي نظرة الوداع وعيناه تهطلان بالدموع فقالت له امه عائشة :

ابك مثل النساء ملكاً مضاعاً   لم تحافظ عليه مثل الرجال

ولا يزال هذا المكان يعرف بزفرة المغربي والجبال التي مر بها ابو عبد الله مع اهلـه ـ بجبال البائسين ـ وقد قدر لكـاتب هذه الصفحات مشـاهدة هذه الاماكن والتعرف عليهـا ، وهكذا خـرج العـرب من الاندلس ـ الفردوس المفقود ـ

ان هذه القصة توحي لنا بشعور بن متناقضين لكل منهـا هواجسه وموحياته فمن ناحية انها توحي بكل معاني الفخر والاعتزاز للبطولات التي حققها الابطال الفاتحون في تلك البلاد البعيدة والمترامية الاطراف ولتلك الانجازات الحضارية الضخمة التي نجد قسماً من آثارها حتى هذه الساعة متمثـلا بالآثار العربية الاسـلامية الخـالدة التي يؤم الاندلس

لمشاهدتها افواج السواح كل عـام من مختلف اقطـار العـالم للتمتع بمشاهدتها وبالتقاط الصور والافلام لما لما تشتمل عليه من روعة هندسية ومن دقة وجمال الزخارف والريازة والنقوش بالاحجار الكريمة ومن ناحية اخرى توحي هذه القصه المثيرة بشعور الالم والحسرة لما آلت اليه من نتيجة محزنة ومن حق قصة ضياع الاندلس ان تثير العبرة والعبرة .

المجتمع الاندلسي

لقد إستهوت طبيعة الأندلس الجميلة مختلف العناصر فقدموا إليها من كل مكان في سائر العصور والأزمان فقد نزل بها الكلت والبسك والجلالقة والقرطاجيون والرومان والفندال والقوط واخيراً سكنها العرب فمن هذه العناصر الكثيرة تكون المجتمع الاندلسي بعد إمتزاجه بها وحين إستقر العرب في تلك البقعة من الأرض إختلطوا بسكانها وتأثروا بهم واثروا عليهم وتطبعوا ببعض طباعهم واتبعوا كثيراً من طرق معيشتهم في المأكل والملبس والمسكن وبإختلاط النساء بالرجال وفي نظام الحكم وغير ذلك ولكنهم كانوا يتطلعون الى امجاد آبائهم واجدادهم في المشرق ويعتبرونها المثال الذي يجب أن يحتذى به والقدوة التي يقتدى بها في مختلف نواحي الحياة والى هذا يشير ابن بسام في الذخيرة (ان اهل هذا الافق ابو الا متابعة اهل المشرق يرجعون الى اخبارهم المعتادة رجوع الحديث الى قتادة حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب اوطن باقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنما وتلوا ذلك كتاباً محكما (١١) :

وقد كان هم حكام الاندلس من أمراء وخلفاء تقليد العباسيين ومنافستهم في كل شيء حتى انهم عمدوا الى تسمية بلدانهم باسماء

---

(١١) ابن بسام : الذخيرة ج ١ ص ٢ .

مدن المشرق لغرناطة دمشق واشبيلية حمص الى غير ذلك من الاسماء وكانوا يلقبون انفسهم بألقاب مشـرقية كالرشيد والمأمون والمتوكل ويدعون الشعراء الاندلسيين بأسماء شعراء المشرق والقابهم فأبن زيدون البحتري وابن هاني المتنبي وهكذا وكان الاتصال بين المغرب والمشـرق وثيقا فالرحالة المغاربة كانوا يفدون على المشرق للتزود من العـلوم والاداب والتعرف على مختلف فنون المعرفة كما رحـل كثير من المشـارقة الى الاندلس منهم ابو الحسن علي بن نافـع المغنى المعروف بزرياب وهو تلميذ اسحاق الموصلي وكان لزرياب الفضل الكبير والاثـر الملحوظ في تطوير فنى الغنـاء والموسيقى في الاندلس ويحدثنا المستشرق الاسباني اميليو غرسية غومس عن زرياب وعن الفترة التي كان يمر بها المجتمع الاندلسي وقت هجرة زرياب الى الاندلس فيقول (بلغ التأثر المشرقي اوجه خـلال هذه الفترة بوفود علي بن نافع الملقب بزرياب (الطـائر الاسود)على الاندلس فقد خرج من بغداد الرشيد ناجياً بنفسه من غيرة استاذه اسحق الموصلي فتلقـاه عبد الرحمن الاوسـط معاصـر شرلمان (٢٠٦ / ٨٢١) (٢٣٨ / ٩٥٢) في قرطبة واغدق عليه كرمه وقد حمل زرياب الى الاندلس فيضاً من الالحان المشـرقية التي ترجع في مناشئها البعيدة الى اصول يونانية وفارسية فأصبحت هذه الاغاني الاصل النغمي لموسيقانا - اي الموسيقى الاسـبانية (١٢) ويؤكد الكاتب المذكور ما ترده الروايات الكثيرة عن زرياب فيما يتعلق بإضافته وتراً جديداً الى

(١٢) غومس ، الشعر الاندلسي ، ص ٣٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٦ .

الاوتار الاربعة التى كانت معروفة في الاندلس وهي الاصفر والاحمر والابيض والاسود(١٣) .

فكانت والحال هذه حياة العرب الاجتماعية في الاندلس مزيجاً من طقوس وعادات موروثة ومستحدثة ، ومما تميز به المجتمع الاندلسي ظاهرة التسامح الدينى فقد كان المسيحيون يتمتعون بحريتهم الدينية كاملة وكانوا يقومون ببناء الكنائس والاديرة يؤدون فيها شعائرهم الدينية وكان لهم رؤساء روحانيون والى جانب هذا التسامح وهذه الحرية كان هناك تعصب شديد فقد كان الفقهاء في كثير من الاوقات يثيرون العامة على المفكرين والفلاسفة وكل من له ميل للنظر في العلوم العقلية ولم يتحرجوا بالطلب من الامراء والخلفاء التضييق على رجال الفكر فراجت الوشايات والدسائس مما كان له الاثر السيء على مستوى العلوم العقلية ويشير الى هذه الظاهرة التى تميز بها المجتمع الاندلسي في احدى فترات مسيرته الطويلة المستشرق الاسباني آنخل جنثالث بالنثيا في كتابه تاريخ الفكر الاندلسي فيقول (كان تشدد فقهاء الاندلس مانعاً كذلك - اول الامر - من نهوض العلوم الرياضية بما فيها الفلك وكان الفقهاء يتجاوزون عن الحساب ويبيحون الاشتغال به فيما يتصل بالعمليات التطبيقية المعقدة المتعلقة بقسم المواريث وأما الفلك فقد قدر له كما يقول الاستاذ ريبيرا ان يخضع لما كان جارياً من اساليب المنع والتحريم التي كانت تصل في بعض الاحيان الى الاضطهاد البالغ القسوة وقد عبرت بهذا العلم فترات لم يكن يسمح للناس خلالها بأن يعرفوا منه الا ما لا بد منه لتحديد اتجاه قبلات المساجد وتعيين مواقيت الليل والنهار على مدار العام لتعرف اوقات الصلوات

---

(١٣) المصدر السابق ص ٣٤ .

والاستيثاق من مواعيد الأهلة فاذا تجاوز الانسان هذه المطالب فقد غرر بنفسه (١٤) وكان من نتـائج تعصب الفقهـاء الاندلسيين ان نكب الفيلسوف ابن رشد الذى يعده الكاتب الاسباني بالثيوس (Palacios) من الاطباء الاندلسيين (١٥) وابن بقى ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم من المفكرين ، غير ان هذه الحال لم تدم طويلا فصار النظر في العلوم العقلية في متناول الكثيرين لا يتحرج منه حتى الامـراء والى هذا يشير الكاتب الاسباني بالنثيا ـ بقوله (وكان المقتدر بن هـود ٤٣٨/١٠٤٧ ـ ٤٧٣/١٠٨١) وابنه المؤتمن (٤٧٣/١٠٨١ ـ ٤٧٧/١٠٨٥) أميرا سرقسطة من اكبر المعنيين بالعلوم المشاركين فيهـا ، فأما اولهما ـ المقتـدر ـ فقد تعاطى الفلسـفة والرياضيات والفلك ، والـ ـف الثاني ـ المؤتمن كتاب الاستكمال ـ فى الفلك وقد درسة موسى بن ميمون ووضع له شرحاً وقال انه جدير بأن يدرس بنفس العناية التى تدرس بهـا كتابات اقليدس وكتاب المجسطي لبطليموس) (١٦) .

ويعلـل جودث الركابي سبب التعصب الـذي سيطر على المجتمع الاندلسي في الكثير من فتراته فيقول (اما التعصب فلم يكن على درجة واحدة وقوة واحـدة في مختلف الادوار التى مر بها هذا العصـر ولقد كان لوجود المسلمين في بقعة تتاخمها النصرانية ويناصبهم اهلها العداء

---

(١٤) بالنثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ص٤٤٧ ط مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٥ .

(١٥) Miguel Asin Palacios Obras Escogidas - II Y III. P. 82 Madrid . 1948 .

(١٦) بالنثيا -تاريخ الفكر الاندلسي ص ٤٥٤ - ٤٥٥ .

اثر كبير في إذكاء الشعور الديني في نفوسهم وقد ساعد الفقهاء في دعم هذا الشعور وتقويته لما لهم من اثر ديني) (١٧) .

ومما تميز به المجتمع الاندلسي انتشار نظام الفتوة والفروسية بين الاندلسيين وكان للفتوة قوالين متبعة واصول مقررة اذا خالفها الفارس يعتبر مخلاً بشرفه ومن يدري فلعل عادة - مصارعة الثيران - السائدة في المجتمع الاسباني اليوم هي من بقايا نظام الفتوة والفروسية الاندلسي مع ادخال بعض التغييرات عليهـــا لان روح الفتوه والفروسية في الاندلس بقيت قوية متماسكة عصوراً طويلة تجذب اليها الانظار من شتى الاقطار ، الا ان هذه الروح لم تستطع ان تذكي فى نفوس الاندلسيين في اواخر ايامهم الحماس والصمود لانهم كانوا منصرفين الى الحياة اللاهية التي كانت متعة متصلة الحلقات وكان الفرد الاندلسي منغمساً في ملذاته واهوائه لدرجة تشغله عن كل شيء لا يتصل بتلك الملذات والاهواء بسبب .

---

(١٧) الركابي - في الادب الاندلسي، ص ٤٧ - ط دار المعارف . مصر ١٩٦٠ .

الحيـــاة

الادبية والفكرية في الاندلس

ما كاد يتم فتح الأندلس حتى تقاطرت القبائل العربية على هذه البلاد من سائر الجهات وخاصة من الشام فاستوطنتها ومن الطبيعي ان يكون بين الوافدين بعض الأدباء والشعراء الذين شكلوا الطلائع الاولى من رجال الأدب والبيان في الربوع الأندلسية الزاهرة ، فالأدب بصورة عامة وعلى الأخص الجانب الشعري منه يحظى عند العرب ببالغ الاهتمام لأنه وسيلة التعبير عن احاسيس الجميع في آلامهم وآمالهم وهو مصدر من مصادر قوتهم استعمل في السلم والحرب ودونت فيه وقائعهم ومفاخرهم لذلك قيل (الشعر ديوان العرب) والأدب بما فيه الشعر لم يتأخر عن الظهور فى الاندلس ولم يقصر في مجالات الابتكار والازدهار وقد ساعدت على ذلك عوامل كثيرة منها الملكة الأصيلة والموهبة الفطرية بالإضافة الى جمال الطبيعة الاندلسية الموحي للأفكار والقرائح ولقد بلغ حرص الاندلسيين على الشعر انهم كانوا يشجعون أولادهم على نظمه حتى ان عبدالرحمن الداخل نظم الشعر رغم كثرة انهماكه وانشغاله بتأسيس الدوله الأموية وتركيز أركانها وليس أدل على ذلك من هذه الأبيات التي أوحاها له منظر نخلة رآها فى قرطبة فذكرته بنخيل المشرق وهذا أول شعر مشرقي أموي ينشد على التربة الاندلسية :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة
تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغرب والنوى
وطول التنائي عن بني وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة
فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي
سقتك غوادي الحزن في المنتأى الذي
يسح ويستمري السماكين بالوبل

× × ×

وقوله أيضاً :

يا نخل أنت غريبة مثلي — في الغرب نائية عن الأصل
فابكي وهل تبكي مكممة — عجماء لم تجبل على جبلي؟
لو انها عقلت إذاً لبكت — ماء الفرات ومنبت النخل
لكنها ذهلت و أذهلني — بغضي بنى العباس عن أهلي

× × ×

ولعبدالرحمن الداخل ولع شديد بالنخل الذي يرى فيه صورة من صور وطنه ، فقد روى المقري في نفح الطيب أثناء الحديث عن الداخل قائلاً : (أتي بإمرأة لها دار بصحن الجامع فيها نخلة ، فقالت لا أقبل عوضاً إلا داراً بنخلة ولو ذهب بيت المال فاشتريت لها دار بنخلة وبولغ بالثمن) . (١٨)

---

(١٨) المقري ، نفح الطيب . ج ٥ ص٨ ط: عيسى البابي الحلبي - (لم يذكر تاريخ الطبع)

وقد ذكر شعر الداخل كثير من المؤرخين الاسبان وقالوا ان شعره يمثل حنينه لوطنه وأهله (١٩) فمن شعره الذي يمثل هذا الحنين لوطنه وأهله قوله :

أيها الراكب الميمم أرضي اقر من بعضي السلام لبعضي
ان جسمي كما علمت بأرض وفؤادي ومالكيه بأرض
قدر الله بيننا فافترقنا فعسى باجتماعنا سوف يقضي

× × ×

ولم يقتصر الشعر في الاندلس على الرجال فقد كان هناك من النساء من نظمن الشعر وجودن به مثل ولادة بنت المستكفي وأنس القلوب جارية المنصور وحفصة الركونية وحسانة التميمية ، ان طبيعة الاندلس ورياضها النضرة وأنوارها الزاهرة وأشجارها المورقة ووديانها الفيح الخضر كل ذلك أثار أخيلة الشعراء وأوحى اليهم بكل معنى جميل فأخصبت القرائح وأورقت ثمار الابداعات الشاعرية اليانعة وسنعرض شيئاً من تلك الثمار في الصفحات التالية :

يلاحظ ان من جملة ماعرف به الاندلسيون خفة الروح والظرف والشغف بالغناء وإحياء ليالي الأنس والطرب وان آلات الطرب عندهم زادت على العشرة منها الشفرة ، والرباب ، والقانون ، والبوق والزلامى والمؤنس ومنها ما لا يزال يحتفظ بإسمه العربي كالعود Laud والقيثارة

---

(١٩) Varios.
Diccionario De Historia De Espana (I) P. 13.
Madrid.1952

Guitarra (٢٠) وكثيراً ما كان حكام الأندلس يعقدون مجالس الشعر والموسيقى والغناء ليجمعون فيها النابغين بهذه الفنون فيكرمونهم ويقلدونهم أرقى المناصب كما حصل مثلا للشاعر ابن زيدون الذي قلد منصب الوزارة ، لقد كان شعراء الأندلس مولعين بشعر المشارقة يقتنون دواوينهم ويستفيدون منها وان انتشار الدواوين المشرقية وكثرة الوافدين من المشرق على الأندلس من الأدباء والشعراء ساعد كل ذلك على ظهور بعض الاغراض والاساليب التقليدية وقد ظل هذا التقليد زمناً طويلا حتي استطاع الشعراء الاندلسيون التحلل من قيود الالتزام به والسير على منواله فنظموا وجددوا بكثير من الاغراض الشعرية المستمدة من الواقع الاندلسي وجددوا حتى بطريقة بناء القصيدة فيما يتعلق بالوزن والقافية كما يتضح ذلك في شعر الموشحات التى سيردبحثها مرت الحياة الادبية والفكرية في الاندلس بثلاثة عهود ، هي عهد الولاة وعهد الخلفاء وعهد ملوك الطوائف .

لقد بدأ الأدب العربي ولا سيما الشعر منه في هذه الارض الاندلسية يحبو رويداً رويداً خلال عهد الامارة وقد ظل الأدب في تطور غير واضح المعالم وكثيراً ما كان سيره يضطرب خلال الزعازع التى مرت على الاندلس وعندما بدأت معالم المجتمع الاندلسي الجديد تبرز يوماً بعد يوم كان من الطبيعي ان ينعكس هذا التقدم على مختلف أوجه النشاط الفكري بما في ذلك الحوافز الأدبية ومع ذلك فقد بدأ الأدب وكأنه صدى خافتاً لما كان يتردد في المشرق من شعر ونثر ولكن بذور

---

(٢٠)
Joan Corominas
Breve Diccionario Etimologico De La Lengua Castllana, P, 304 Madrid. 1961

أدب جديد ظهرت آثارها في التربة الاندلسية بأيدي أدباء اندلسيين فظهر الشعر الغزلي والوصفي والخمري وغير هذه الأغراض المتميزة ونمت المواهب وارتفعت منزلة الادب والادباء والشعر والشعراء وهكذا كان الشعر في عهد الامارة يسير بين التقليد والتجديد ومن الملاحظ في هذا العصر ظهور بعض الأراجيز التاريخية التى اصبحت مصدراً من مصادر الدراسات الاندلسية والتي اعتمد عليها كثير من الباحثين فقد تضمنت الحوادث والمضاعفات والتطورات التى تخللت اوضاع الاندلس ومن أشهر الرجالين يحيى بن الحكم البكري صاحب ارجوزة فتح الاندلس منذ دخول طارق حتى أواخر ايام الامير عبدالرحمن بن الحكم . ولعل عدم استقرار أمور الدولة الجديدة وانشغال الناس بما فيهم الأدباء والشعراء بالاسهام بتوطيد دعائم كيانها اشغل الأذهان عن الابتكار والتجديد.

أما الأدب فيعهد الخلافة فقد كان له شأن آخر يختلف عما كان عليه في عهد الامارة ، ويبدأ هذا العهد بإعلان عبدالرحمن الثالث الخلافة الاموية وهو أول خليفة أموي يسمي نفسه امير المؤمنين والى هذا يشير ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ فيقول عن عبدالرحمن(وهوأول من تلقب من الامويين بألقاب الخلافة وتسمى بأمير المؤمنين) (٢١)

والظاهر ان عبدالرحمن اتخذ هذه السمة تشبهاً بغيره كما يتضح ذلك مما ذكره ابن خلدون في مقدمته (ذهب عبدالرحمن هذا الى مثل

---

(٢١) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٨ ص ٥٣٥ ، دار صادر بيروت ١٩٦٦.

ويرى عبدالله عنان ان سبب هذه التسمية يرجع الى ان عبدالرحمن يرى أهليته على ما أقدم عليه (وهكذا اتخذ عبدالرحمن سمة الخلافة عن يقين بأفضلية وأولوية حقه وحق اسرته وتسمى بأمير المؤمنين الناصر لدين الله) (٢٣)

وكان عبدالرحمن قوي الشكيمة امام اعداء الاندلس ، وكثيراً ما كان يقوم بغزوات لايقل عدد الكثير منها من المحاربين عن (مائة الف او يزيدون) (٢٤) ودامت دولته خمسين سنة) (٢٥)

لقد بلغت النهضة الادبية في هذا الدور ذروة النضج والكمال ورست قواعد الحكم وتعززت اركانه واستتبت أمور الدولة واحتلت الاندلس مكانة مرموقة في المغرب والمشرق ، ويذكر الكاتب الاسباني بروفنسال

---

(٢٢) ابن خلدون ، المقدمة ص ٢٢٨ ، ط ، مكتبة المثنى - بغداد (لم يذكر تاريخ الطبع)

(٢٣) عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، ج ٢ ص ٣٩٤ ، ط (لجنة التأليف والترجمة والنشر) - القاهرة ١٩٦٠.

(٢٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص٩ ط ، دار الاندلس ، بيروت ١٩٦٥.

(٢٥) الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ٣ ص ٣ ، (مكتبة القدس - القاهرة ١٣٥٠)

(Provencal) (٢٦) الا عهد عبدالرحمن الناصر سبب نهضة كبيرة للاندلس في مختلف النواحي وازدهرت قرطبة بالذات وانتشرت فيها المدارس فتوافد عليها الكثيرون من ادباء الشرق يعرضون انتاجهم ومنهم من مدح الخلفاء والامراء طلباً للرفد والعطاء ، ويرى ابراهيم الابياري ان اول نازح الى الاندلس من المشرق هو خلف بن معدان أحد أجداد علي بن سعيد بن حزم واستقر في (ليلة) التي تقع غربي الاندلس) (٢٧)

ومن أجلاء الادباء الذين وفدوا على الاندلس ابو علي القالي صاحب الامالي وقد نال حظوة كبيرة من الناصر وابنه المستنصر حتى ان الناصر عهد اليه بتثقيف والده المستنصر وتأديبه ، ومن أعلام الوافدين صاعد الاديب اللغوي الذي اشتغل بتدريس الادب واللغة والف كتاباً أسماه كتاب ــ النصوص ـ على غرار كتاب الامالي للقالي ويظهر ان في هذا الكتاب ما لم يرض عنه المنصور فأمر المنصور برمى الكتاب في البحر فقال بذلك أحد الشعراء :

قد غاص في الماء كتاب النصوص
وهكــذا كل ثقيل يغوص
عاد الى معدنه إنما . . .
توجد في قعر البحار الفصوص

(٢٦) E. Leui Provencal Y Emilio Garcia Gomez Una Cronica Anonima De Abd Al Rahman III Al Nasir. P. 16 Madrid 1950

(٢٧) ابن حزم ، طوق الحمامة ، المقدمة ــ ص. ب ط المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ١٩٦٤ ه

ومما يدل على المكانة الصاعدة ما تذكره عنه الموضوعات المعنية بأخبار الاندلس من ذلك هذه الابيات في مدحه وقد اوردها ابن بسام في الذخيرة :

(واهدت اليه بغداد ديوان علمها
هدية من والي واتحفة من حيـــا

فكان كمن حيـــا الرياض بزهرها
واهدت الى صنعاء من نسجها وشيا

وحسب رواة العـــلم ان يتدارسوا
مآثره حفظـاً وآثاره وعيــا (٢٨)

ويذكر ابن الاثير (ان شاعراً للمنصور يقال له ابو العلاء صاعد بن الحسن الربعي قد قصده من بلاد الموصل واقام عنده وامتدحه)(٢٩)

طبيعي ان مجتمعاً هذه حاله وتلك مكانته من الرقي والازدهار يقصده الادباء والشعراء من كل مكان لا بد ان يكون فيه للقابليات والمواهب عناية ملحوظة وهذا ما حصل بالفعل

رغم ابداع الكثيرين من الادباء والشعراء الاندلسيين وتجديدهم الا ان رواسب الميل الى تقليد المشارقة حتى في هذا العصر المستقل المتميز بقيت تظهر في بعض آثارهم من ذلك مثلاً كتاب ـ العقد الفريد ـ لابن عبد ربه الذي اراد به منافسة الادباء المشارقة لكنه قلدهم في الموضوعات وان اختلف معهم في العرض فجمع فيه كثيراً من اخبار المشرق ولمـــا

---

(٢٨) ابن بسام ، الذخيرة ، ج١ ص ٥٥

(٢٩ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٩ ص ١١٣ ـ ١١٤

وصل العقد الفريد الى المشرق قال المشارقة فيه قولتهم المعروفة ـ هذه بضاعتنا ردت الينا ـ وذلك على الرغم من الجهد البين الذي بذله المؤلف ليكون عقده فريداً وهو القائل عنه (وسميته كتاب العقد الفريد لما فيه من مختلف جواهر الكلام مع دقة السلك وحسن النظام) (٣٠) .

وقد وردت اشارة ضمنية لهذا التقليد الذي لم يستطع ابن عبد ربه الافلات منه وذلك في مقدمة العقد التي وضعها احمد امين وجماعته حيث ورد (وابن عبد ربه ـ مع ذلك ـ لم يغفل الاندلس اغفالا تاماً في كتابه العقد الفريد)(٣١) ان من اهم اسباب قوة الحركة الادبية في هذا العصر رعاية المسؤولين وتشجيعهم للادباء للنهوض بالادب ليكون في مستوى النهضة العامة للدولة وبلغ اهتمام المسؤولين بالحصول على المصادر الثقافية ومراجعها درجة كبيرة فمثلا ان المستنصر كان جماعاً للكتب وانه كان يرسل البعثات الى المشرق لنسخ نفائس المخطوطات وانه اشترى نسخة من كتاب الاغاني بمبلغ الف دينار ذهبا وانه انشأ ديواناً اسماه ديوان الندماء ـ مهمته ترتيب الشعراء طبقات طبقات وبذل العطاء لهم حسب طبقة كل واحد منهم ومستواه الشعري وانه كان يعين على رأس هذا الديوان من اكابر الشعراء وانه في غزواته كان يصطحب معه الشعراء لوصف المعارك وقيل انه اصطحب في احدى غزواته اربعين شاعراً من مختلف طبقاتهم وكانت قصوره وقصور الامراء مقصد الادباء والشعراء لالقاء الخطب والقصائد الحماسية التي تصور الانتصارات

---

(٣٠) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج١ ، ص ٤ ـ ٥ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣

(٣١) المصدر السابق ، المقدمة ، ص ، ز

والانجارات ومن تلك القصائد ما كان يتناول وصف تلك القصور وما يحيط بها من الحدائق والمتنزهات وكان لبناء جامع قرطبة الاثر القوي بإمداد النهضة الثقافية بصورة عامة والادبية بشكل خاص فقد كان هذا الجامع بمثابة معهد كبير تعقد فيه الحلقات الكثيرة لدراسة علوم اللغة وآدابها بالاضافة الى العلوم الدينية وقد اسهب المؤرخون بوصف هذا الجامع الكبير الفخم ، من ذلك مارواه المقري في نفح الطيب حيث قال (وعدد ابوابه تسعه . ثلاثة في صحنه غرباً وشرقاً وجوفاً واربعة في بلاطاته الثلاث شرقيان واثنان غربيان وفي مقاصير النساء من السقائف بابان وجميع ما فيه من الاعمدة الف ومائتان عمود وثلاثة وتسعون عموداً رخاماً كلها وباب مقصورة الجامع ذهب وكذلك جدار المحراب وما يليه قد اجرى فيه الذهب على الفسيفساء وثريات المقصورة فضة محضا) (٣٢) ومما يبين اهمية هذا الجامع ان عدد الذين كانوا يقومون بمستلزماته من أئمة ومقرئين وامناء ومؤذنين وسدنة وموقدين وغيرهم بلغ مائة وتسعة وخمسين شخصاً وكان للجامع المذكور كل ليلة جمعة رطل عود وربع رطل عنبر يتبخر به(٣٣) ويذكر استاذنا المستشرق الاسباني خينس (Cines) (ان منبر جامع قرطبة كان يتكون من سبع درجات من الخشب الفاخر المطعم بقطع من سن الفيل) (٣٤) .

اما الحياة الادبية في عهد ملوك الطوائف ـ آخر عهود الحكم العربي

---

(٣٢) المقري : نفح الطيب ج٥ ص ١٠ ـ ١١

(٣٣) المصدر السابق ص ١٥

(٣٤) Juan. Vernet. Cines. Los Musulmanes. Espanoles P. 121. Barcelona. 1961

في الأندلس فقد كادت بين المد والجزر والتفتح والذبول تبعاً للظروف التي كان يمر بها المجتمع الاندلسي :

واما فيما يتعلق بالحياة الفكرية خلال عهود الاندلس المختلفة فقد مرت بحالات تتفاوت بالقوة والضعف شأنها بذلك شأن الحياة الادبية وقد بلغت مجدها بصورة خاصة ايام عهد عبد الرحمن الناصر وولده الحكم ، وفي عهد ملوك الطوائف تنافس الملوك انفسهم على تشجيع الفكر والمفكرين ولكن الحال قد تغيرت حينما استولى المرابطون على الاندلس فقد كانوا يميلون الى السيف اكثر من ميلهم الى القلم لذلك انحطت النهضة الادبية فى عهدهم وعلى الرغم من ذلك فقد تألقت في سماء هذا العهد اسماء لامعة كخلف بن عباس القرطبي الطبيب وابن باجة الفيلسوف وابن بسام المؤرخ وكأن ظهور هؤلاء الاعلام جاء امتداداً لدولة الفكر واخذ النشاط الذهني بظهور هؤلاء الاعلام يعود شيئاً فشيئا حتى جاء دور دولة الموحدين ، ان ابن تومرت مؤسس هذه الدولة هو احد ائمة الفكر لذلك كان من الطبيعي ان يمد الحياة الفكرية بما يكفل لها النماء والعطاء وقد قلده بذلك خلفاؤه وفي اواخر القرن السادس واوائل القرن السابع حققت الحياة الفكرية تقدماً ملحوظاً وظهر اعلام كثيرون مثل ابن طفيل وابن رشد وموسى بن ميمون ، وعندما بدأت مدن الاندلس تسقط تباعاً بأيدي الاسبان اضطربت دولة الفكر وغادر البلاد كثير من المفكرين وحين اسس بنو الاحمر دولتهم فى غرناطة اسرعت معظم الاسر الاندلسية الى هذه الدولة وفي ظل بني الاحمر استقرت الحياة الفكرية من جديد ، ان من ابرز سمات نهضة الحياة

الفكرية فى الاندلس تشييد المدارس والاهتمام بنسخ الكتب وتجليدها وتأسيس المكتبات العامة وارسال البعثات الى المشرق بحثاً عن المخطوطات النفيسة حتى بلغ عدد الكتب في مكتبة قرطبة وحدها ما يقرب من اربعمائة الف كتاب ولهذا كان من اليسير الهين على عامة الناس قراءة الكتب في مختلف مجالات المعرفة وعندما انطفأت شمس الاندلس انطفأت الحياة الادبية والفكرية فيها وانتهى كل شيء.

التجـــديد

فى الشـــعر الاندلسي

لقد مرت الاشارة الى ان اغراض الشعر الاندلسي كان منها المقلد المترسم للشعر المشرقي ومنها الاصيل المستمد من بيئتي الاندلس الطبيعية والاجتماعية واهم تلك الاغراض الاصيلة هي .

١ـ وصف الطبيعة

٢ـ الغزل

٣ـ الخمريات

٤ـ رثاء الدول

وسنذكر شيئاً من النماذج المختارة لكل من هذه الاغراض

وصف الطبيعة

ان الشعر الاندلسي الوصفي قد تميز بظاهرة المزج بين الوصف الوجداني والمادي وان الطبيعة الاندلسية الجميلة تبدو مشمسة وارفة الظلال حتى فى اغراض لا تمت الى الطبيعة بسبب ، كغرض المدح، من ذلك مثلاً قول ابن خفاجة فى المدح :

لذكرك ما هب الخليج يصفق وباسمك ما غنى الحمام المطوق

بل وحتى فى غرض الرثاء البعيد كل البعد عن وصف الطبيعة وموحياتها كقوله راثياً

في كل ناد منك روض ثناء وبكل خد فيك جدول ماء
ولكل شخص هزة الغصن الندى تحت البكاء ورنـــة المكـــاء
يا مطلع الانوار ان بمقلتي اسفاً عليك لمطلــع الانواء

مما يدل دلالة واضحة على ان جمـــال الطبيعة الاندلسية كان يسيطر على اخيلة الشعراء ويأخذ بألبابهم ولا يستطيعون التخلص من اسـره الحب ، ومن ذلك الشعر الجامع بين الوصف الوجداني والمادي قصيدة ابن زيدون في حبيبته ولادة بنت المستكفي التى يقول فيها .

اني ذكرتـك بالـــزهراء مشـــتاقا
والافق طلق ومرأى(٣٥) الارض قد راقا

وللنســيم اعتـــلال في اصائـــله
كأنـــه رق لي فاعتـــل إشـــفاقا

والروض عن مائــه الفضي مبتسم
كما شققت عن اللبـــات اطـــواقا

يـوم كأيام لـذات لنـا انصرمت
بتنا لها حين نام الـــدهر سراقا

نلهو بمـا يستميل العين من زهـر
جـال النـدى فيه حتى مـال أعناقا

كأن اعينـــه اذ عاينـت ارقـى
بكت لـما بي فجال الدمع رقراقا

---

(٣٥) ووجه : غومس الشعر الأندلسي ص ١٥٤

ورد تألق في ضاحي منابتــه

فازداد منه الضحى في العين اشراقا

سرى ينافحــه نيلوفر عبق

وسنان نبه منه الصبح احداقا

كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا

اليك لم يعد عنها الصدر ان ضاقا

لا سكن الله قلباً عنّ ذكركم

فلم يطر بجنـاح الشوق خفاقا

لو شاء حملي نسيم الصبح حين سرى

وافاكم بفتى اضناه ما لاقى

فالآن احمد ما كنا لعهدكم

سلوتم وبقينا نحن عشاقا

لو كان وفى المنى في جمعنا بكم

لكان من اكرم الأيام اخلاقا

يا علقي الاخطر الاسنى الحبيب الى

نفسي اذا ما اقتنى الاحباب اعلاقا

كان التجازي بمحض الود مذ زمن

ميدان انس جرينا فيه أطلاقا

من الشعر الاندلسي ما يقتصر على وصف لقطات من الطبيعة الاندلسية الممتعة من ذلك هذه الابيات التي يصف فيها ابن خفاجة نهراً رقراقاً ينساب بين الحقول الخضر .

لله نهر سال في بطحاء | اشهى ورودا من لمى الحسناء
متعطف مثل السوار كأنه | والزهر يكنفه مجر سماء
قد رق حتى ظن قرصاً مفرغاً | من فضة في بردة خضراء
وغدت تحف به الغصون كأنها | هدب يحف بمقلة زرقاء
ولطالما عاطيت فيه مدامة | صفراء تخضب ايدي الندماء
والريح تعبث بالغصون وقد جرى | ذهب الاصل على لجين الماء

ولابن خفاجة قوله

يا اهل اندلس لله دركم | ماء وظل وانهار واشجار
ما جنة الخلد الا في دياركم | ولو تخيرت هذا كنت اختار
لا تختشوا بعدها ان تدخلوا سقراً | فليس تدخل بعد الجنة النار

وله ايضاً

ان للجنـة في الاندلس | مجتلى حسن وريا نفس
فسنا صبحتها من شنب | ودجى ظلمتها من لعس
فإذا ما هبت الريح صباً | صحت واشوقي الى الاندلس

ولابن خفاجة بوصف أراكة قوله

واراكة ضربت سماء فوقنا | تندى وافلاك الكؤوس تدار
حفت بدوحتها مجرة جدول | نثرت عليه نجومها الازهار
وكأنها وكأن جدول مائها | حسناء شد بخصرها زنار
زف الزجاج بها عروس مدامة | تجلى ونوار الغصون نثار

في روضة جنح الدجى ظل بها وتجسمت ناراً بها الانوار
غناء ينشر وشيه البزاز لي فيها ويفتق مسكه العطار
قام الغناء بها وقد لضح الندى وجه الثرى واستيقظ النوار
والماء من حلي الحياء مقلد زرت عليه جيوبها الاشجار

وله بوصف متنزه

ومجر ذيل غمامة قد لمقت وشى الربيع به يد الانواء
القيت ارحلنا هناك بقبة مضروبة من سرحة غناء
وقسمت طرف العين بين رباوة مخضرة وقرارة زرقاء
وشربتها عذراء تحسب انها معصورة من وجنتي عذراء
حمراء صافية تطيب بنفسها وغنائها وخلائق الندماء
خذها كما طلعت عليك عرارة مفترة عن لؤلؤ الأنداء

وللشاعر ابن الزقاق بوصف الطبيعة الاندلسية قوله

ورياض من الشقائق اضحت يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يجلد منها زهرات تفوق لون الراح
قلت ما ذنبها فقال مجيباً سرقت حمرة الخدود الملاح

وللشاعر ابي الحسن بن نزار بوصف وادي أشات قوله

وادي الاشات يهيج وجدي كلما اذكرت ما افضت بك النعماء
لله ظلك والهجير مسلط قد بردت لفحاته الانداء
والشمس لرغب ان تفوز بلحظة منه فتطرف طرفها الافياء

والنهر يبسم بالحباب كأنه سلخ نضته حية رقطاء
فلذاك تحذره العيون فميلها ابداً على جنباته ايماء

وللقاضي ابي الفضل عياض بن موسى هذان البيتان

انظر الى الزرع وقاماته تحكي وقد ماست امام الرياح
كتائباً تجفل مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

ومن شعر وصف الطبيعة الاندلسية هذه الابيات لابي القاسم المالقي في وصف الروض قوله

ويوم ظللنا والمنى تحت ظله تدور علينا بالسعادة افلاك
بروض سقته الجاشرية مزنة لها صارم من لامع البرق بتاك
توسدنا الصهباء اضغاث آسه كأنا على خضر الارائك املاك
وقد نظمتنا للرضى راحة الهوى فنحن اللآلي والمودات اسلاك
وتجلى لنا فيه وجوه لواعم يخلن بدوراً والغدائر احلاك

الغـــزل

أما شعر الغزل فقد كان ينساب على شفاه الشعراء الاندلسيين انسياباً لاسباب كثيرة منها اختلاط الرجال بالنساء واطلاق الحـــرية الفردية مضافاً الى ذلك جمال الطبيعة الاندلسية وتبدأ المختارات من شعر الغزل بقصيدة ابن زيدون ـ اضحى التنائي ـ وهي قصيـــدة اتسمت بحرارة ولوعة الحنين نظمها فى مناجاة ولادة ، وقد ورد فى طبعاتهـــا العديدة تحريف لبعض ابياتهـــا واعتمدنا فى تسجيلها على كامل كيـــلاني الذي جمع شعر ابن زيدون وبذل بشرحه عناية ملحوظة :

ذكرى أيام الوصال (٣٦)

اضحى التنائي بديلا من تدانينا — وناب عن طيب لقيانا تجافينا
ألاوقد حان صبح البين صبحنا — حين فقام بنا للحين ناعينـا
من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم — حزناً مع الدهر لايبلى ويبلينا
ان الزمان الذي مازال يضحكنا — أنســـاً بقربهم قد عاد يبكينا

---

(٣٦) كامل كيـلاني ، ديوان ابن زيدون ص ٤ ـ ٨ ط مصطفى البابي الحلبي ، مصر ١٩٣٢

غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا
بأن نغص فقال الدهـــر آمينـــا

فانحل ما كان معقوداً بأنفسنا   وانبت ما كان موصولا بايدينا

وقد نكون وما يخشى تفرقنا   فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا

ياليت شـعري ولم نعتب اعاديكم
هل نال حظاً من العتبى اعادينـــا

لم نعتقد بعدكم الا الوفاء لكم   رأياً ولم نتقلد غيره دينـــا

ما حقنا ان تقروا عين ذي حسد
بنا ولا ان تسروا كاشحاً فينـــا

كنا نرى اليأس تسلينا عوارضه
وقـــد يأسنا فما لليأس يغرينـا

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا   شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا

تكاد حين تناجيكم ضمائرنا   يقضي علينا الاسى لولا تأسينا

حالت لفقدكم ايامنا فغدت   سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا

اذ جانب العيش طلق من تألفنا   ومربع اللهو صاف من تصافينا

واذ هصرنا فنون الانس دانية
قطافهـا فجنينـا منـــه ماشينـا

ليسق عهدكم عهد السرور فما   كنتم لارواحنا الا رياحينا

لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا   إن طالما غير النأى المحبينا

والله ماطلبت أهواؤنا بدلا   منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا

يا ساري البرق غاد القصر فاسق به
من كان صرف الهوى والود يسقينا

واسأل هنالك هل عنى تذكرنا
إلفاً تذكره أمسى يعنينا

ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا
من لو على القرب حياً كان يحيينا

فهل أرى الدهر يقضينا مساعفة
منه وإن لم يكن غباً تقاضينا

ربيب ملك كأن الله أنشأه
مسكاً وقدر إنشاء الورى طينا

أو صاغه ورقاً محضاً وتوجه
من ناصع التبر إبداعاً وتحسينا

إذا تأود آدته رفاهية
توم العقود وأدمته البرى لينا

كانت له الشمس ظئراً في أكلته
بل ما تجلى لها إلا أحايينا

كأنما أثبتت فى صحن وجنته
زهر الكواكب تعويذاً وتزيينا

ما ضر إن لم تكن أكفاءه شرفاً
وفي المودة كاف من تكافينا

يا روضة طالما أجنت لواحظنا
ورداً جلاه الصبا غضاً ونسرينا

ويا حياة تملينا بزهرتها
منى ضروباً ولذات أفانينا

ويا نعيماً خطرنا من غضارته
في وشي نعمى سحبنا ذيله حينا

لسنا نسميك إجلالا و تكرمة
و قدرك المعتلى عن ذاك يغنينا

إذا انفردت وما شوركت في صفة
فحسبنا الوصف ايضاحا و تبيينا

يا جنة الخلد أبدلنا بسدرتها
و الكوثر العذب زقوما و غسلينا

كأننا لم نبت و الوصل ثالثنا
والسعد قد غض من أجفان واشينا

سران في خاطر الظلماء يكتمنا
حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

لا غرو في ان ذكرنا الحزن حين نهت
عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا

إنا قرأنا الأسى يوم النوى سوراً
مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا

أما هواك فلم نعدل بمنهله
شربا وإن كان يروينا فيظمينا

لم نجف أفق جمال انت كوكبه
سالين عنه ولم نهجره قالينا

ولا اختياراً تجنبنـــاه عن كثب
لكن عدتنا على كره عوادينا

نأسى عليك اذا حثت مشعشعة
فينـــا الشمول وغنـــانا مغنينا

لا اكؤوس الراح تبدي من شمائلنا
سيما ارتياح ولا الاوتار تلهينا

دومي على العهد ـ مادمنا ـ محافظة
فالحر من دان إنصافاً كما دينا

فما استعضنا خليلا منك يحبسنا
ولا استفدنا حبيباً عنك يثلينـا

ولو صبا نحونا من علو مطلعه
بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا

أبكي وفاء وان لم تبذلي صلة
فالطيف يقنعنا والـــذكر يكفينا

وفي الجواب متاع ان شفعت به
بيض الايادي التى ما زلت تولينا

عليك منا ســـلام الله مـــا بقيت
صبـــابة بك نخفيهـــا فتخفينا

ومن شعر الغزل لابن عبد ربه

يا لـؤلـؤاً يسبي العقـول انيقا
ورشا بتقطيع القـــلوب رفيقـــا

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله
درآ يعود من الحيـاء عقيقـا

واذا نظرت الى محاسن وجهه
ابصرت وجهك في سناه غريقا

يا من تقطع خصره من رقـة
ما بال قلبك لا يكون رقيقا ؟

وله هذه الابيات الغزلية

انت دائي وفي يديـك دوائي
يا شفائي من الجوى وبـلائي

ان قلبي يحب من لا اسـمي
في عناء اعظم به من عناء

كيف لا ، كيف ان الذ يعيش
مات صبري به ومات عزائي

ايها اللائمون مـاذا عليكم
ان تعيشوا وان اموت بدائي

ليس من مات واستراح بميت
انمـا الميـت ميت الاحيـاء

ولابن عبد ربه في موقف وداع قوله

ودعتني بزفرة وعنـاق ثم قالت متى يكون التلاقي؟
وتصدت فأشرق الصبح منها بين تلك الجيوب والاطواق
يا سقيم الجفون من غير سقم بين عينيك مصرع العشاق

ان يوم الفراق افظع يوم   ليتني مت قبل يوم الفراق

ولابن حزم قوله

وددت لوان القلب شق بمدية
وادخلت فيه ثم اطبق في صدري
فأصبحت فيه لا تحلين غيره
الى مقتضى يوم القيامة والحشر
لعيشين فيه ما حييت فإن امت
سكنت شغاف القلب فى ظلم القبر

وللطرطوشي هذه الابيات

اقلب طرفي في السماء ترددآ
لعلي ارى النجم الذي انت تنظر
واستعرض الركبان من كل وجهة
لعلي بمن قد شم عرفك اظفر
وامشي ومالي فى الطريق مآرب
عسى نغمة باسم الحبيب ستذكر
والمح من القاه من غير حاجة
عسى لمحة من حسن وجهك تسفر

والشاعر اندلسي آخر هذه الابيات وتلاحظ فيها ظاهرة المزج بين الوصف الوجداني والمادي شأن اكثر الشعر الاندلسي

غصبوا الصباح فقسموه خدودا
واستوعبوا قضب الاراك قدودا

وراوا حصى الياقوت دون نحورهم
فتقلدوا شهب النجوم عقودا

لم يكفهم حد الاسنة والظبى
حتى استعاروا اعيناً وخدودا

وقال ابو القاسم ابن العطار

هب النسيم مع العشي فشاقني
اذ كان من جهة الحبيب هبوبه

قد كنت ودعت الصبا بوداعه
واخو الصبابة لا تفيق ندوبه

فدعا الهوى لي دعوة لم اعصها
والصب راحة قلبه تعذيبه

لو لم اجب داعي الهوى وعصيته
لغدت جفوني بالدموع تجيبه

الخمريات

أما شعر الخمريات فقد كان منتشراً في الاندلس كانتشار الخمرة فيها ويعتبر غرض الخمريات من اغراض الشعر الاندلسـي الأصيلة فقد عرف الاندلسيون اصنافاً عديدة من الخمر ذكروها فى اشـعارهم ووصفوها بمختلف الاوصاف مثل القهـوة والنبيذ والمدام والراح والحمراء والصفراء وكانوا يتفننون بعقد مجالس الشراب فى الرياض والمنتزهات وحتى فى الزوارق التي كانت تتهادى فى نهر الوادي الكبير وغيره وهذا القاضي ابو الحسن بن لبال حاكم شريش احد من وصف تلك الزوارق بقوله :

بنفسي هاتيك الزوارق اجريت
كحلبة خيل اولا ثم ثانيا
وقد كان جيد النهر من قبل عاطلا
فأمسـى به في ظلمة الليل حاليا
عليها ازهر الشمع زهر كواكب
تخال بها ضمن الغدير عواليا
ورب مثار بالجناح و آخر
برجل يحاكي اولنا خاف بازيا

ولقد برع الشـعراء الاندلسيون بوصف تلك المجالس براعتهم بوصف الخمرة والكؤوس والسقاة، لنستمع الى احدهم هو ابوالقاسم

محمد بن هانئ الالبيري وهو يقول :

وبات لنا ساق يصول على الدجى
بشمعة صبح لا تقط ولا تطفي

أغن غضيض خفف اللين قده
و أثقلت الصهباء أجفانه الوطفا

يقولون حقف فوقه خيزرانة
أما يعرفون الخيزرانة و الحقفا

جعلنا حشايانا ثياب مدامنا
وقدت لنا الظلماء من جلدها لحفا

فمن كبد تدني الى كبد هوى
ومن شفة توحي الى شفة رشفا

بعيشك نبه كأسه و جفونه
فقد نبه الابريق من بعد ما أغفا

وقد فكت الظلماء بعض قيودها
وقد قام جيش الليل للفجر واصطفا

وولت نجوم للثريا كأنها
خواتم تبدو في بنان يد تخفى

× × ×

والى ابن خفاجة حين يقول :

وليل تعاطينا المدام و بيننا
حديث كما هب النسيم على الورد

لعاوده و الكأس يعبق للحبة
و أطيب منه ما نعيد وما لبدي
ولقلي أقاح الثغر او سوسن الطلى
ونرجسة الاجفان أو وردة الخد
الى ان سرت فى جسمه الكأس والكرى
ومالا بعطفيه فمال على عضدي
فأقبلت أستهدي لما بين أضلعي
من الحر ما بين الضلوع من البرد
وعاينته قد سل من وشي برده
فعاينت منه السيف سل من الغمد
لسان مجس و الله تقامة قامة
وهزة أعطاف و رونق افرند
أغازل منه الغصن في مغرس النقا
وألثم وجه الشمس في مطلع السعد
فإن لم يكنها او تكنه فإنه
أخوها كما قد الشراك من الجلد
تسافر كلتا راحتي بجسمه
فطوراً الى خصر وطوراً الى نهد
فتهبط من كشحيه كفي تهامة
وتصعد من نهديه اخرى الى نجد

☒ ☒ ☒

وليه بقوله :

أحس المدامة والنسيم عليل | والظل خفاق الرواق ظليل
والنور طرف قد انبه دامع | والماء مبتسم يروق صقيل
وتطلعت من كل برق غمامة | في كل أفق راية ورعيل
حتى تهادى كل خوطة ايكة | ريا وغصت تلعة و مسيل
عطف الأراكة فانثنى شكراً له | طرباً ورجع في الغصون هديل
فالروض مهتز المعاطف نغمة | نشوان يعطفه الصبا فيميل
ريان فضضه الندى ثم انجلى | عنه فذهب صفحتيه أصيل
وارتد ينظر في نقاب غمامة | طرف يمرضه النعاس كليل
ساج كما يرنو الى عواده | شاك ويلتمح العزيز ذليل

× × ×

وصف ابن خفاجة أحد السقاة السود هذا الوصف الطريف:

رب ابن ليل سقانا | و الشمس تطلع غره
فظل يسود لوناً | و الكأس تسطع حمرة
كأنه كيس فحم | قد أوقدت فيه جمرة

ولابن عبد ربه قوله في الساقي :

بأبي من زها علي بوجه | كاد يدمى لما نظرت اليه
ناول الكأس فاستمال بلحظ | فسقتني عيناه قبل يديه

اما ابن الزقاق فيقول

واغيد طـاف بالكؤوس ضحى
وحفها والصباح قد وضحـا

والروض اهدى لنا شـقائقه
وآســه العنبري قـد نفحا

قلنا واين الاقاح ؟ قال لنـا
اودعته ثغر من سقى القدحا

فظل ساقي المدام يجحد ما
قال فلمـا تبسم افتضحا

وله ايضاً

اديراها على الروض المندى
وحكم الصبح في الظلماء ماضي

وكأس الراح تنظر في حباب
ينوب لنا عن الحدق المراض

وما غربت نجوم الافق لكن
نقلن من السماء الى الرياض

اما ابو بكر بن عبد الملك بن زهر يتحدث عن رفاقه السكارى وعن نفسه فيقول

وموسدين على الاكف خدودهم
قد غالهم نوم الصباح وغالني

ما زلت اسقيهم واشرب فضلهم
حتى سكرت فنالهم ما نالني

والخمر تعرف كيف تأخذ ثارها
اني املت اناءها فأمالني

ولكن المعتمد وبعد ان حلقت الراح بخياله قربت البدر والكواكب اليه فصور هذه اللقطات من عالم الليل الساجي فقال

ولقد شربت الراح يسطع نورها
والليل قد مد الظلام رداء

حتى تبدى البدر في جوزائه
ملكاً تناهى بهجة وبهاء

وتناهضت زهر النجوم يحفه
لألاؤها فاستكمل اللألاء

لما اراد تنزهاً في غربه
جعل المظلة فوقه الجوزاء

وترى الكواكب كالمواكب حوله
رفعت ثرياها عليه لواء

ومن الخمريات الاندلسية هذه الابيات لابن بقي

عاطيته والليل يسحب ذيله
صهباء كالمسك الفتيق لناشق

وضممته ضم الكمي لسيفه
وذؤابتاه حمائل في عاتقي

حتى اذا مالت به سنة الكرى
زحزحته شيئاً وكان معانقي
باعدته عن اضلع تشتاقه
كي لا ينام على وساد خافق

وفي نفس هذا الجو المخمور وانتهاز الفرصة قال ابو عامر بن شهيد (بضم الشين) .

ولما تمدد من سكره
ونام ونامت عيون العسس
دنوت اليه على بعده
دنو رفيق اذا ما التمس
ادب اليه دبيب الكرى
واسمو اليه سمو النفس
وبت به ليلتي ناعماً
الى ان تبسم ثغر الغلس
اقبل منه بياض الطلى
وارشف منه سواد اللعس

ومما يتصل بشعر الخمريات وصف الكؤوس والزجاجات التي اكثر الشعراء الاندلسيون من ذكرها وطبيعي لا مجال للتوسع بنشر اكثر مما مر ذكره من نماذج الشعر الخمري ويمكن الاكتفاء بهذين البيتين لادريس بن اليمان

ثقلت زجاجات اتتنا فرغاً
حتى اذا ملئت بصرف الراح

خفت فكادت تستطير بما حوت
ان الجسوم تخف بالارواح

مما تجدر الاشارة اليه ان الاندلسيين عرفوا برقة الطبع وخفة الروح وطلب النكتة وكثرة المزاح والظرف مما يدل على الرفاهية التى كان ينعم فيها المجتمع الاندلسي، وبين ثنايا كثيرمن الابيات الشعرية تلاحظ لطف الدعابة ، ومن تلك الابيات هذان البيتان لابن شرف القيرواني بوصف بيت صديق له .

لك منزل كملت ستارته لنا
للهو لكن تحت ذاك حديث

غنى الذباب فظل يزمر حوله
فيه البعوض ويرقص البرغوث

وعلى ذكر المجالس المرحة التي عنى بها الاندلسيون يذكر ابن سعيد فى كتابه المغرب هذه الرواية الطريفة فيقول (اهل اشبيلية اكثر العالم طنزاً وتهكما قد طبعوا على ذلك وكان المعتمد بن عباد كثيراً ما يتستر ويشاركهم فى واديهم وفي مظان مجتمعاتهم ويمازحهم ويصقل صدأ خاطره بما يصدر عنهم ومر المعتمد ليلة بباب شيخ منهم مشهور بكثرة التندير والتهكم يمزج ذلك بحرد يضحك الثكلى فقال المعتمد لوزيره ابن عمار تعال نضرب على هذا الشيخ الساقط الباب حتى نضحك معه فضربا عليه بابه فقال من هو ؟ فقال ابن عباد ، انسان يريد ان تقدله هذه الفتيلة فقال ، والله لو ضرب ابن عباد بابي في هذا الوقت ما فتحته

قال فاني ابن عباد قال مصفوع الف صفعة فضحك ابن عباد حتى سقط الى الارض وقال لوزيره امضي بنا قبل ان يتعدى القول الى الفعل فهذا شيخ ركيك . ولما كان من غد تلك الليلة وجه اليه الف درهـــم وقال لموصلها ، يقول هذا حق الف صفعة متاع البارحة)(٣٧)



---

(٢٧) ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ص ٢٨٧ ط دار المعارف ، مصر ١٩٦٤ .

رثاء الدول

من اغراض الشعر الاندلسي الاصيلة غرض رثاء الدول كما مرت الاشارة الى ذلك لانه نابع من صميم الواقع الاندلسي نظراً لما وقع فى الاندلس من كوارث وويلات وتساقط الدول واحدة تلو الاخرى ، فهي ذلك الشعر الذي يلقي ظلاً داكناً على النفوس ويعبر عن فترات الظلام التي تخبطت فيها الاندلس هذه الابيات لابن اللبانة يرثي بهـا الدولة العبادية في اشبيلية من سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م الى سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م) ويصف فيها اسر المعتمد بن عباد فى اشبيلية وخروجه منهـا ووقوف الكثيرين من افراد الرعية على ضفتي نهر اشبيلية يتطلعون بعيون دامعة وقلوب جازعة الى السفن التى حملت الملك الاسير وعائلته الى منفاه فى المغرب .

تبكي السماء بمزن رائح غاد
على البهاليـل من ابناء عباد
على الجبال التي هدت قواعدها
وكانت الارض منهم ذات اوتاد
يا ضيف اقفر بيت المكرمات فخذ
في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
ويامؤمـل واديهـم ليسـكنه
خف القطين وجف الزرع بالوادي

والك يا فارس الخيل التى خملك

لتختال من عدد منها واعداد

القى السلاح وخل المشرفي فقد

اصبحت فى لهوات الضيغم العادى

ان يخلعوا فبنوا العباس قد خلعوا

وقد خلت قبل حمص ارض بغداد

حموا حريمهم حتى اذا غلبوا .

سيقوا على نسق في حبل مقتاد

نسيت الاغداة النهر كونهم

في المنشآت كأموات بألحاد

والناس قد ملأوا العبرين واعتبروا

من لؤلؤ طافيات فوق أزباد

حط القناع فلم تستر مخدوة

ومزقت اوجه لمزيق أبراد

حان الوداع فضجت كل صارخة

وصارخ من مفداة ومن فاد

سارت سفائنهم والنوح يصحبها

كأنها ابل يحدو بها الحادي

كم سال في الماء من دمع وكم حملت

تلك القطائع من قطعات اكباد

ومن غرض رثاء الدول مرثية ابن عبدون لدولة بني الافطس في بطليوس من سنة (٤٢١ هـ / ١٠١٠ م الى سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م)

الدهر يفجع بعــد العين بالأثر
فما البكاء على الاشباح والصور ؟

فلا يغرنك من دنيــاك نومتها
فما صناعة عينيهـا سـوى السهر

ما لليـــالي ؟ اقال الله عثرتنا
من الليـــالي وخانتها يــد الغير

كم دولة وليت بالنصر خدمتها
لم لبق منها وسل ذكراك عن خبر

هوت بدارا وفلت غرب قاتلـــه
وكان عضباً على الاملاك ذا اثر

واسترجعت من بني ساسان ما وهبت
ولم تدع ابني يونان من اثـــر

ومنها جزعه على ابناء المظفر ، ملوك الدولة

بنى المظفر والايام ما برحت
مراحلا والورى منها على سفر

سحقاً ليومكم يوما ولا حملت
بمثله ليلـــة في غابر العمر

من للأسرة أو من للأعنة أو
من للاسنة يهديها الى الثغر

من لليراعة او من البراعة أو
من للسماحة او للنفع والضرر

او دفع كارثة او ردع آزفة

او قمع حادثة تعيي على القدر

ويح السماح وويح البأس لو سلما

واحسرة الدين والدنيا على عمر

سقت ثرى الفضل والعباس هامية

تعزى اليهم سماحاً لا الى المطر

وفى رثاء الاندلس يقول ابو البقاء الرندي

لكل شــيء اذا ما تم نقصان

فلا يغــر بطيب العيش انسان

هي الامــور كما شاهدتها دول

من ســره زمن ساءته ازمان

وهذه الدار لا تبقى على احـد

ولا يدوم على حال لهــا شان

اين الملوك ذوو التيجان من يمن

واين منهــم اكاليــل وتيجان

أتى على الكل امــر لا مرد له

حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا

وصار ما كان من ملك ومن ملك

كما حكى عن خيال الطيف وسنان

دار الزمــان على دارا وقاتله

وامّ كسرى فــا آواه إيوان

ومنها :

دهى الجزيرة أمر لا عزاء له
هوى له احد وانهد ثهلان

فاسأل بلنسية ما شأن مرسية
واين شاطبة ام اين جيان ؟

واين قرطبة دار العلوم ؟ فكم
من عالم قد سما فيها لها شأن

واين حمص وما تحويه من نزه
ونهرها العذب فياض وملآن

قواعد كن اركان البلاد فما
عسى البقاء اذا لم تبق أركان

تبكي الحنيفية البيضاء من اسف
كما بكى لفراق الالف هيمان

على ديار من الاسلام خالية
قد اقفرت ولها بالكفر عمران

حيث المساجد قد صارت كنائس ما
فيهن الا نواقيس وصلبان

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة
حتى المنابر ترثي وهي عيدان

يا من لذلة قوم بعد عزهم
أحال حالهم جور وطغيان

بالامس كانوا ملوكاً في منازلهم
واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم
عليهم من ثياب الذل ألوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم
لهالك الأمر واستهوتك احزان
يا رب ام لطفل حيل بينهما
كما تفرق ارواح وابدان
وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت
كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج عند السبي مكرهه
والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد
إن كان في القلب اسلام وايمان

اثـــر
الشعر الاندلسي في الشعر المغربي

ان التجديد في الشعر لم ينحصر فى الاندلس في ابان نهضتها بل امتد منها الى اجزاء من المغرب العربي ويقصد بالمغرب العربي المنطقة الممتدة من غربي ليبيا الى المحيط الاطلسي وكانت تشمل الاندلس من اسبانيا ويقسم الجغرافيون المغرب الى ما يلي

اولا — المغرب الادنى : وهو الاسم المعروف بأسم تونس .

ثانياً — المغرب الاوسط : وهو القسم المعروف بأسم الجزائر ، وما يلي ذلك يعرف بالمغرب الاقصى ، ولكي يكون بالامكان التعرف على شيء من الاغراض والاساليب الشعرية المغربية وعلى مدى اثر الشعر الاندلسي في تلك الاغراض والاساليب نذكر شيئاً موجزاً من ابيات شعر مغربي في اغراض مختلفة :

قال الشاعر الفقيه ابو محمد بن صمنة الصقلي وقد ورد ذكره فى الخريدة للعماد الاصفهاني الذي (وصفه بحسن المحاضرة والمحاورة وطيب المفاكهة والمذاكرة واستضافة علم الشعر الى علم الشرع وظرافة الطبع) (٣٨)

---

(٣٨) العماد الاصفهاني-خريدة القصر وجريدة الدهر ، القسم الرابع ج ١ ص ١٩ ط الرسالة مصر ١٩٦٤

تركوا العتاب وجانبوا العتبا
فأقلهم وأنلهم العتبى
واصفح لهم عما جنوا كرماً
حباً لهم وكرامة حبا
احبابنا لي عندكم مقة
نهبت جميع اساءتي نهبا
ومحبة في الصدر ثابتة
محت الذنوب فلم تدع ذنبا
اوليتكم مني صحيح هوى
فسقى مريض سقامكم طبا
وجزيتكم بقطيعة صلة
وحملت ما حملت من احبا
ووردت ملحاً ماء ودكم
فشربته وسقيتكم عذبا

ومن الشعر الوجداني هذه الابيات للشاعر عبد الحليم بن عبد الواحد السومي

قالت لأترابٍ لها يشفعن لي
قول امرىء يزهى على اترابه
وحياة حاجته اليّ وفقره
لأواصلن عذابه بعذابه

ولأمنعن جفونه طعم الكرى
دمومه بشرابه
ولأمزجن

لم باح باسمي بعدما كتم الهوى ؟
اولى به
دهراً وكان صباني

ولهذا الشاعر قوله :

شكوت فقالت كل هـذا تبرم
بحي اراح الله قلبك من حبي

فلما كتمت الحب قالت لشدما
صبرت وما هذا بفعل شجى القلب ؟

فأدلو فتقصيني فأبعـد طالباً
رضاها فتعتد التباعد من ذنبي

فشكواي تؤذيها وصبري يسوؤها
وتجزع من بعدي وتنفر من قربي

لم يقتصر الشعر المغربي على الاغراض الوجدانية بل تناول وصف الطبيعة والمتنزهات مثل الشعر الاندلسي ، من هذا الشعر الوصفي قول عبد الرحمن بن ابي العباس الكاتب الأطرابنشي بوصف متنزه يعـرف بمتنزه الفوارة ويلاحظ فى آخر الابيات المزج بين الوصفين الوجداني والمادي وهو مما تميز به الشعر الاندلسي المجدد .

فوارة البحرين جمعت المنى
عيش يطيب ومنظر يستحظم

قسمت مياهك في جداول تسعة
يا حبــذا جريانها المتبسم

في ملتقى بحريك معترك الهوى
وعلى خليجيك الغرام مخيم

لله بحر المنخلتين وما حوى الـ
بحر المشيد به المقام الاعظم

وكأن ماء المفرعين وصفوه
در مذاب والبسيطة عنــدم

وكأن اغصان الرياض تطاولت
ترنو الى سمك المياه وتبسم

والحوت يسبح في صفاء مياهها
والطير بين رياضها تترنم

وكأن نارنج الجزيرة اذزها
ناراً على قضب الزبرجد تضرم

وكأنما الليمون صفرة عاشق
قد بات من الم النوى يتألم

ولم يخل الشعر المغربي من الالتفات الى بعض المعاني الهادفة من ذلك هذان البيتان لابي القاسم الوداني :

ترفق بنفسك لا تضنها
بحرص فحرصك لا ينفــع

فكم عاجز واسع ماله
وكم حازم فقره مدقع

وهذان البيتان لابي علي احمد بن محمد

اذا ما اراد المرء اكرام نفسه
رعاها ووقاها القبيح وزينا

وان هو لم يبخل بها واهانها
ولم يرعها كانت على الناس اهوانا

الموشحات والازجال

الاندلسية

لقد تميز الادب الاندلسي فيما تميز بظهور فنون شعرية عديدة مثل الدوبيت والقوما والكان وكان والموال ولكن اكبر تلك الفنون واهمها الموشحات والازجال وبعتبران شقيقين تجمعهما صفات كثيرة منها انهما فنان غنائيان ، ومن تلك الصفات الجامعة بينهما التشابه الموضوعات والاوزان والقوافي والمقاطع . فالموشحات والازجال الاندلسية اهم فنين ادبيين ظهرا فى الشعر الاندلسي وقد اضفى ظهورهما ميزة خاصة تميز بها هذا الشعر حتى اعتبرا من اجمل الفنون الشعرية فى جميع ادوار الشعر العربي .



الموشحات

سبب تسميتها

اجمعت الروايات المعنية بدراسة فن الموشحات على ان سبب تسمية الموشحات بهذا الاسم (لان خرجاله واغصانه كالوشاح وهو كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف احدهما على الاخر لتوشح المرأة به وهو ايضاً سير منسوج من الجلد يرصع بالجواهر لتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها)(٣٩) وان اول من ابتكر هذا الفن الشعري هو مقدم بن معافي القبري من شعراء الامير عبدالله بن محمد واخذه عنه ابو عمر احمد بن عبد ربه صاحب "العقد الفريد" وكثير من الشعراء الاخرين.

اصل الموشحات

هناك تعدد بالاراء حول اصل نشأة هذا الفن الذي ظهر فى الاندلس فى اواخر القرن الثالث الهجري ونما وازدهر خلال القرن الرابع فمن تلك الآراء ما يزعم بأن اصل فن الموشحات فرنسي وحجة اصحاب هذا الرأي ان فرقاً من المغنين تسمى فرق التروبادور كانت تؤم البلاد الاسبانية من جنوب فرنسا لتغني للنبلاء والموسرين طلباً للرفد والعطاء

---

(٣٩) مصطفى عوض الكريم، فن التوشيح، ص١٨، دار الثقافة، بيروت ١٩٥٩.

بأوزان ومقاطع لها شبه كبير بأوزان ومقاطع الموشحات الأندلسية ، ومن تلك الآراء ما يرجع اصل الموشحات الى المشرق ويرى اصحاب هذا الرأي ان اول من ابتكرها هو ابن المعتز بالموشحة التى مطلعها

ايهـــا الساقي اليك المشتكى   قد دعوناك وان لم تسمع

غير ان الشيء الثابت هو ان الموشحات اندلسية وانها من صنع الشعراء الاندلسيين لأن الشبه بين اوزان ومقاطع الموشحات وبين اوزان ومقاطع اغاني التروبادوريين ليس معناه ان الاندلسيين قد اخذوا هذا الفن منهم لان الذي جعل التوافق بين هذه الاوزان والمقاطع هو الغناء وطبيعته ولا بد ان تكون مقومات هذا الشعر الغنائي قريبة تشبه بعضها لبعض يجمعها تناسب الأوزان والمقاطع وانسجامها مع دقات الاوتار وادوات الغناء ، كما ان نسبة الموشحات الى المشرق والى ابن المعتز بالذات امر مردود اذ وضح ان موشحة ، ايها الساقي - لم تكن فى الواقع لابن المعتز وان الذى نظمها الوشاح الاندلسي (ابو بكر محمد بن زهر الاشبيلي المتوفى عــام ٥٩٥ هـ) ويلاحظ خلوها نسر من شعر لابن المعتز من هذه الموشحة وعدم نسبة غيرها له من الموشحات ، والى اصل نشأة الموشحات يقــول ابن خلدون في مقدمته (اما اهل الاندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذيت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق الغاية استحدث المأرخون منهم فنــاً سموه بالموشح ينظمونه اسماطا واغصاناً اغصانا) (٤٠) .

ويؤكد شوقي ضيف حقيقة نسبة الموشح الى الاندلس فيقول (والذي

---

(٤٠) ابن خلدون المقدمة ، ص ٥٨٣

ـ التزيينا ـ زيادة لمستزيد وطمن التوشيح على القصيد ابي طغيان)(٤٩)

انواع الموشحات :

تنقسم الموشحات الى نوعين ـ الاول ـ التام

وهو الذي يبدأ بالقفل وينتهي بالبيت

وبالثاني ـ الاقرع

وهو الذي يبدأ بالبيت وينتهي بالقفل، والقفل نوعان بسيط ومركب شأنه شأن البيت في الموشحة ، فالبسيط ماتألفت أشطره دون ان تكون تلك الاشطر مقســمة الى فقرات متعددة ، أما المركب فهو ما كانت أشطره مقسمة الى فقرات ، وقد يكون القفل اكثر من شــطرين اما البيت فيكون عادة من عدة اشطر بخلاف المعروف في القصيدة التقليدية المألوفة التى يكون البيت فيها من شطرين وللايضاح نورد بعض الامثلة للاقفال والابيات بنوعيها البسيط والمركب :

رب ليل ظفرت فيه بالبدر   ونجوم الليـل لم تدر

هذا قفل بسيط لانه لم يقسم الى فقرات كالقفل الآتي :

من ولي١ ـفي أمةولم يعدل٢ـ   يعزل ـ الا لحاظ الرشاء الاكحل

ففي كل شطر من هذا القفل فقرتان أشير اليهما بالارقام :

---

(٤٦) ممدوح حقي ، العروض الواضح ، ص ١٤٣ ط دار اليقظة العربية ، دمشق ١٩٤٠

لاسؤال - عن مبتلى٢ - ينحت في صامت ٣ - لينال١ — ما املا٢ - والامر للشامت ٣ — هذا القفل مركب ، كل شطر منه قسم الى ثلاث فقرات لكل منها رويها الخاص .

أما البيت البسيط فمثاله :

انهض وباكر للمدام العتيق

في كأسها تبدو كلون العقيق

بكف ظبي ذي قوام رشيق

ومثال البيت المركب من فقرتين هو :

جرت في١ حكمك في قتلي يا مسرف٢

فانصف — فواجب ان ينصف المنصف

وارأف — فإن هذا الشوق لا يرأف

وتوجد امثلة كثيرة الاقفال والأبيات البسيطة والمركبة يمكن الاطلاع عليها عند ذكر بعض الموشحات المختارة فى الصفحات التالية ، أما الخرجة فى القصيدة الموشحة فهي آخر قفل فيها ويجوز فيها اللحن وان تكون عامية وان يضمن الوشاح بعد تمهيد مناسب قفل وشاح آخر ينسجم معناه وقافيته ووزنه مع معنى وقافية ووزن أقفال الموشحة كما حدث فى موشحة لسان الدين بن الخطيب حيث جعل خرجتها قفلا من الموشحة التى عارضها لابن سهل وسيأتي ذكر الموشحتين المذكورتين ، والخرجة تعني خروج الشاعر من الموشحة وإيذاناً بنهايتها .

أشهر الوشاحين :

من أشهر الوشاحين على سبيل المثال لا الحصر محمد بن زهر الاشبيلي وأبو اسحاق ابراهيم بن سهل ولسان الدين محمد بن عبدالله الخطيب وتلميذه ابن زمرك وابن عبادة بن ماء السماء وعبادة القزاز وابن اللبانة والاعمى القطيلي وابن باجة ، ومن طريف ماروى عن ابن باجة ويعطي فكرة عن أهمية فن الموشح ومدى اهتمام حكام الاندلس بالمجيدين من الوشاحين، هذه الرواية التي أوردها ابن خلدون في مقدمته عن الحكيم الشاعر ابن باجة حيث قال عنه (انه حضر مجلس مخدومه ابن تيفلويت صاحب سرقسطة فألقى على بعض قيانه موشحته :

جرر الذيل اي جر . وصل الشكر منك بالشكر

فطرب الممدوح لذلك : لما ختمها بقوله :

عقد الله راية النصر لامير العلا أبي بكر

فلما طرق ذلك التلحين سمع ابن تيفلويت صاح واطرباه وشق ثيابه وقال ما احسن مابدأت وختمت وحلف بالايمان المغلظة لا يمشى ابن باجة الى داره إلا على الذهب ، فخاف الحكيم سوء العاقبة فاحتال بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه) (٤٧)

موشحة الاشبيلي :

يعتبر أبو بكر محمد بن احمد بن زهر الاشبيلي من ابرع الوشاحين وقد امتازت موشحاته بالاضافة الى رقة معانيها بسلاسة الفاظها ، مما يروى

---

(٤٧) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٥٨٤

عنه انه سئل ذات يوم عن مسألة لغوية لم يستطع الاجابة عنها وكان ذلك بحضور جماعة فاعتراه الخجل وأقسم ان يقيد رجليه بالحديد ولا يرفع هذا القيد الا بعد ان يلم بشوارد اللغة وغريبها فشاهدته امه على هذه الحالة فأصابها شيء من الذهول فقال :

ريعت عجوزي ان رأتني لابساً
حلق الحديد ومثل ذاك يروع
قالت جننت ؟ فقلت بل هي همة
هي عنصر العلياء والينبوع
سن الفرزدق سنة فتبعتها
اني لما سن الكرام تبوع

ومات هذا الشاعر قتيلاً من قبل امير قرطبة الزبير لهجائه له يقول في موشحته :

ايها الساقي اليك المشتكى قد دعوناك وان لم تسمع
ولديم همت في غرته
وبشرب الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته
جذب الكأس اليه واتكا وسقاني اربعاً في اربع
ما لعيني عشيت (٤٨) بالنظر
انكرت بعدك ضوء القمر

---

(٤٨) شقيت : ابن سعيد ، المغرب ، ص ٢٧٢

واذا مـا شئت فاسمع خبري

عشيت عيناي من طول البكا فبكا بعضي على بعضي معي

غصن بان مال من حيث استوى

بات من يهواه من فرط الجوى

خفق الاحشاء موهون القـوى

كلما فكر بالبين بكى ويحه يبكي لما لم يقع

ليس لي صـبر ولا لي جلد

يا لقومي عذلوا واجتهدوا

انكروا شكواي ممـا اجد

مثل حالي حقه ان يشتكي كمد اليأس وذل الطمع

كبد حـرى ودمـع يكف

يعرف الـذنب ولا يعـترف

ايهـا المعرض عمـا اصف

قد نما حبك عندي وزكا لا تقل في الحب اني مدعي

ومن موشحة للشاعر الأشبيلي قوله

سـلم الامـر للقضـا فهـو للنفس انفـع

واغتنم حين اقبلا

وجه بدر تهللا

لا تقل بالهموم لا

كل ما فات وانقضى ليس بالحزن يرجع

واصطبـــح بابنة الكـــروم

من يـــدي شادن رخيـــم

حـــين يفتـــر عن نظيـــم

فيـــه برق قـــد اومضا ورحيـــق مشـــعشـــع

انا افديـــه مـــن رشـــا

اهيف القـــد والحشـــا

صـــفي الحســـن فانتشـــى

مـــذ تـــولى واعرضـــا فـــؤادي يقطـــع

من لصب غدى مشوق

ظـــل في دمعـــه غريـــق

حين امــوا حمى العقيق

واستقلوا بـــذي الغضـــا أســـفي يـــوم ودعـــوا

موشحة ابن سهل

من الوشاحين الاندلسيين المجودين بفن التوشيح ابو اسحاق ابراهيم بن سهل شاعر اشبيلية ولد ابن سهل فى اوائل القرن السابع الهجرى ومات غرقاً عام ٦٤٩ /١٢٥١ م ومن اشهر موشحاته موشحة ـ هل درى ظبي الحمى ان قد حمى ـ وقد عارض هذه الموشـــحة كثير من الموشحين القدامى والمحدثين واشهر تلك المعاوضات موشحة لسان الدين بن الخطيب التي سيأتي ذكرها وموشحة احمد شوقي التي يقول فى قفلها الاول :

من لنضو يتنزى الما برح الشوق به فى الغلس

حن للبان وناجى العلما
اين شرق الارض من اندلس

موشحة ابن سهل — وهي من النوع التام كسابقاتها —

هل درى ظبي الحمى ان قد حمى
قلب صب حله عن مكنس

فهو فى حر وخفق مثلما
لعبت ريح الصبا بالقبس

× × ×

يا بدوراً اطلعت يوم النوى
غرراً تسلك بي نهج الغرر

ما لنفسي في الهوى ذنب سوى
منكم الحسن ومن عيني النظر

اجتني اللذات مكلوم الجوى
والتذاذي من حبيبي بالفكر

كلما اشكوه وجدى بسما
كالربى بالعارض المنبجس

اذ يقيم القطر فيها مأتما
وهي من بهجتها في عرس

× × ×

غالب لي غالب بالتؤدة
بأبي افديه من جاف رقيق

ما رأينا مثل ثغر نضده
اقحواناً عصرت منه رحيق
اخذت عيناه منه العربدة
وفؤادي سكره ما ان يفيق
فاحم اللمة معسول اللمى
اكحل اللحظ شهى اللعس
وجهه يتلو الضحى مبتسما
وهو فى اعراضه في عبس

× × ×

ايها السائل عن جرمى لديه
لي جزاء الذنب وهو المذنب
اخذت شمس الضحى من وجنتيه
مشرقاً للشمس فيه مغرب
ذهبت ادمع اجفاني عليه
وله خد بلحظي مذهب
ينبت الورد بغرس كلما
لاحظته مقلتى فى الخلس
ليت شعري اي شيء حرما
ذلك الورد على المفترس ؟
كلما اشكو اليه حرقي
غادرتني مقلتاه دنفا

تركت الحاظه من رمقي
اثر النمل على صم الصفا

وانا اشكره فيما بقي
لست الحاه على ما اتلفا

فهو عندي عادل ان ظلما
وعذولي لطقه كالخرس

ليس لي في الحب حكم بعدما
حل في النفس محل النفس

اضرم الدمع بأحشائي ضرام
تتلظى كل حين ماتشا

هي في خديه برد وسلام
وهي ضر وحريق في الحشا

اتقي منه على حكم الغرام
اسد الغاب واهواه رشا

قلت لما ان تبدى معلما
وهو من الحاظه في حرس

ايها الآخذ قلبي مغنما
اجعل الوصل مكان الخمس

موشحة ابن الخطيب

لقد مرت الأشارة الى ان لسان الـدين محمد بن عبد الله بن الخطيب قد عارض موشحة ابن سـهل السابقة بموشحة - من النوع التـام - تعتبر من انجح الموشحات الاندلسية لفظا ومعنى ، وابن الخطيب هذا ولد في غرناطة عام ٧١٣هـ ولمكانته بلغ مركز الوزارة في عهد ابي الحجاج يوسف سلطان غرناطة وقد اهتم بالفلسفة والتفلسف بوقت كان النظر في العلوم العقلية ومنهـا الفلسفة غير مرغوب فيه كما مربيان ذلك فأفتى بعض الفقهاء باهدار دمه فسجن وتسلق جدار السجن قسم من العـامة الغوغاء فخنقوه حتى مات وذلك عام ٧٧٦ هـ اما موشحته فهي :

جادك الغيث اذا الغيث همى

يا زمان الوصل بالاندلس

لم يكن وصلك الا حلما

في الكرى او خلسة المختلس

× × ×

اذ يقود الدهر اشتات المنى

ننقل الخطو على ما نرسم

زمـراً بين فرادى وثنى

مثلما يدعو الوفود الموسم

والحيا قد جلل الروض سنا
فثغور الـــزهر فيه تبسم

وروى النعمان عن ماء السما
كيف يروي مالك عن انس

فكساه الحسن ثوباً معلـــما
يزدهي منـــه بأبهى ملبس

× × ×

في ليال كتمت سر الهوى
بالدجى لولا شمس الغـــرر

مال نجم الكأس فيها وهوى
مستقيم السير سعد الاثر

وطر ما فيه من عيب سوى
انه مر كلمح البصـــر

حين لذ النوم شيئاً او كما
هجم الصبح هجوم الحرس

غارت الشهب بنا او ربما
اثر فينـا عيون النرجس

× × ×

اي شيء لامرىء قد خلصا
فيكون الروض قد مكن فيه

لتنهب الازهار فيه الفرصا
أمنت من سكره مـــا تتقيه

قمر اطلع منه المغرب
شقوة المضنى به وهو سعيد

قد تساوى محسن او مذنب
في هواه بين وعد ووعيد

احور المقلة معسول اللمى
جال في النفس مجال النفس

سدد السهم فأصمى اذرمى
بفؤادي نبلة المفترس

ان يكن جار وخاب الامل
وفؤاد الصب بالشوق يذوب

فهو للنفس حبيب اول
ليس في الحب لمحبوب ذنوب

امره معتمل ممتثل
في ضلوع قد براها وقلوب

حكم اللحظ بها فاحتكما
لم يراقب في ضعاف الانفس

ينصف المظلوم ممن ظلما
ويجازي البر منها والمسي

× × ×

ما لقلبي كلما هبت صبا
عاده عيد من الشوق جديد

كان في اللوح له مكتتبا
قوله (ان عذابي لشديد)

خلب الهم له والوصبا

فهو للاشجان في جهد جهيد

لاعج في اضلعي قد أضرما

فهي نار في هشيم اليبس

لم يدع من مهجتي الاذما

كبقاء الصبح بعد الغلس

× × ×

ثم يصل ابن الخطيب الى مدح الغني بالله محمد بن ابي الحجاج احد ملوك بنى الاحمر : فيقول

سلمي يا نفس في حكم القضا

واعمري الوقت برجعى ومتاب

واتركي ذكرى زمان قد مضى

بين عتبى قد انقضت وعتاب

واصرفي القول الى المولى الرضي

ملهم التوفيق في ام الكتاب

الكريم المنتهى والمنتمى

اسد السرج وبدر المجلس

ينزل النصر عليه مثلما

ينزل الوحي بروح القدس

× × ×

مصطفى الله سمي المصطفى

الغنى بالله عن كل احد

فهو اذا ما عقد العهد وفى
واذا ما فتح الخطب عقد

من بنى قيس بن سعد وكفى
حيث بيت النصر مرفوع العمد

حيث بيت النصر محمي الحمى
وجنى الفضل زكي المغرس

والهوى ظل ظليل خيما
والندى هب الى المفترس

× × ×

هاكها يا سبط انصار العلى
والذي إن عثر الدهر أقال

غادة البسها الحسن ملا
تبهر العين جلاء وصقال

عارضت لفظاً ومعنى وحلى
قول من انطقه الحب فقال

(هل درى ظبي الحمى ان قد حمى
قلب صب حله عن منكس)

(فهو في حر وخفق مثلما
لعبت ريح الصبا بالقبس)

الازجال

يمثل الزجل الفن الثاني المجدد بعد الموشح وانما سميت القصائد التي تنظم وفق قواعده بالازجال لانها تنشد وتصوت ولذلك سمي نوع من الحمام - بالحمام الزاجل - اي المصوت - والزجل ظهر بعد الموشح والى ذلك يشير ابن خلدون في مقدمته (ولما شاع التوشيح في اهل الاندلس واخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع اجزائه نسجت العامة من اهل الامصار على منواله ونظموا في طريقتهم بلغتهم الحضرية من غير ان يلتزموا فيه إعراباً واستحدثوا فناسموه بالزجل) (٥٠) وتنظم الزجلية عادة وتبدأ بشطرين يسميان - المركز - وهو يقابل القفل في الموشحة ثم تلي المركز اشطر تتكون من ثلاثة على الاغلب وتكون قوافيها الثلاث متشابهة ثم يلي هذه الاشطر الثلاثة شطر تكون قافيته مثل قافية آخر شطر في المركز كما سيلاحظ ذلك في النماذج المختارة ، اما الخرجة فأن اشطرها تختلف عن اشطر الزجلية اما من ناحية الوزن او اللفظ، ان الزجل ينظم باللغة العامية الدارجة وان الازجال كانت تنشد فى المناسبات العامة وفى الشوارع والطرقات مصحوبة بآلات الموسيقى والطرب كمناسبات الاعراس والاعياد ومواسم الحصاد والقطاف وكثيراً ما كان الناس يشتركون مع الزجال بترديد قسم من مقاطع ازجاله ،

---

(٥٠) المصدر السابق ص ٥٨٥

ان المراجع القديمة والحديثة التى تتحدث عن الزجل قليلة وانما توجد
عنه روايات متناثرة في بعض المصادر والمراجع ، من المراجع الهامة
القليلة كتاب (العاطل الحالي) للشاعر صفي الدين الحلي وكتاب (ملح
الزجالين) لابن الدباغ الاندلسي ويعتبر ديوان ابن قزمان الذي يضم ١٤٩
زجلية اهم مصدر لدراسة الزجل والتعرف عليه وقد تم نسخ هذا الديوان
في مدينة صفد وذلك في منتصف القرن السادس الهجري واهتم بطبعه
ونشره دافيد جونز برج عام ٨٩٦ فكان موضع اهتمام الدارسين ، ان
الزجل على ما يبدو جاء صقلاً وتطويراً للاغنية الشعبية القديمة وقد نظم
فيه كثيرون سبقوا ابن قزمان كالشيخ ابن نمارة ويخلف بن راشد
والبلارج القرموني وغيرهم ممن وضعوا للزجل بعض الاصول والقواعد،
ومن اعلام الزجالين ابو عمر بن الزاهر وابو عبد الله بن خاطب
وابو بكرم صارم الاشبلي (٥١) غير ان اكثر الزجل الجيد هو للزجال
ابن قزمان لهذا لا يذكر الزجل الا مقروناً بابن قزمان ولا يذكر ابن
قزمان الا مقروناً بالزجل ، ان الزجل قد مر بمراحل تطويرية عديدة اهمها :

١ ــ مرحلة الاغنية الشعبية القديمة التى لم تكن لها اصول وقواعد

٢ ــ مرحلة تجديد وتطوير تلك الاغنية بوضع الاصول والقواعد لها

٣ ــ مرحلة النضج والتكامل على يد ابن قزمان فمن هو ابن قزمان ؟

انه محمد ابن عبد الملك المكنى بأبي بكر ولد في قرطبة (٤٦١ هـ/١٠٦٩م)
وتوفى سنة (٥٥٤ هـ / ١١٦٠ م) واختص بنظم الزجل وآثره على غيره
من فنون الشعر الاخرى ويذكر عنه الكاتب الاسباني غومس (Gomes)
ان ابن قزمان نظم في اللغة العربية الفصحى أيضاً ولكن اكثره شعره

---

(٥١) ابن سعيد : المغرب ، ج١ ص ٢٨٣ ـ ٢٨٥

الجيد هو في الزجل(٥٢) فهو بحق امير الزجل والزجالين وله زجل كثير بمدح يوسف بن تاشفين امير الموحدين(٥٣) من ذلك قوله :

مثل بن تاشفين يقال امير
والخلافة من بعد عادت تسير
بارك الله فى هذا الايام
تجى اعوام اذا مضت اعوام
ويجعلهم سلاطين اسلام
ونصرهم كاه نعم النصير
ذاه سلطان كما يقال سلطان
ان يحكم بالسنة والقرآن
وذكالس لقس عليه شيطان
حتى لس كان بقى غير بصير

يلاحظ قسم من الكلمات غير واضحة مثل - كاه - فمعناها - كما هو لان ه التى تشبه رقم ٥ تقابل هو وذاه - تقابل - هو - وان - تقابل - انه - وذكا معنا - ذكاه - ولس معناها . وليس - ول - معناها - وله

ومن ازجال ابن قزمان هذا القسم من زجلية نظمهــا بوصف ابي

---

(٥٢) Emilio Garcia Gomes Cinco Poetas Musulmanes P. 149 Madrid 1944

(٥٣) Miguel Asin Palacios. Crestomatia De Arabe Literal Con Closario y Elementos De Cramatica P. 152 Madrid 1936 .

جعفر البلنسي الصراف وقد وصف فيها قدرة الصراف هذا على السهر وكثرة الشراب :

الما يجعل الشراب صب صب
وترالو فم فالقطيع عب عب
وه هابط لمعده دب دب
ثم لا الكا   ولا انعطاف
ثم ان" يشرب وداد كل احد
ويغطي لمن سكر ورقد
وه جالس ينظرك مثل الأسد
ويلاطفك غاية الالطـــاف

كذلك تلاحظ كلمات في هذا الزجل غير واضحة سنذكر ما يقابلها من الكلمات المألوفة وترالو - وتره" - فالقطيع - الزجاجة - عب عب اشرب اشرب - وه هابط لمعده دب دب - وهو - اي الشراب - نازل لمعدته يدب دبيبا -

لقد اوردنا هذه النماذج القليلة من شعر الزجل للتعرف على طريقة نظم الزجل ولهجته وبالامكان ذكر غير ما ذكر من الزجل ولكن صعوبة فهم الكثير من كلماته لا تشجع على ذكر المزيد منه .

التجـــديد

فى النثر الاندلسي

ومما هو جدير بالملاحظة ان الاندلسيين لم يقتصر تجديدهم على ناحية معينة من نواحي العطاء الفكري فى مختلف مجالاته فقد جمعوا بين موضوعات وفنون متعددة ، وكما ان الشعر كان احد تلك الموضوعات والفنون ونظم فيه الكثيرون من ادباء ومؤرخين وفقهاء وغيرهم مثل الاديب ابن عبد ربه والمؤرخ لسان الدين بن الخطيب والفقيه ابن حزم وحتى من الحكام والامراء كالداخل والحكم الاول والامير عبدالله بن عبد الرحمن بن الحكم الاول وعبد الرحمن الثاني وعبد الرحمن الناصر والمعتمد بن عباد فقد اهتم الاندلسيون بالنثر وتفننوا وجددوا به وهذه المجلدات الكثيرة التي كتبها رجال دولة العلم والادب في الاندلس تمثل تراثا حضارياً يعتز به يلاحظ عليه طابع التجديد فى الموضوعات والاساليب التي اعتمد بعضها على السجع وهو فن من اظهر فنون النثر كما يلاحظ ذلك مثلا فى كتاب الذخيرة لابن بسام وغيره وفى نثر ابن زيدون مما سيمر ذكر شيء منه .

صحيح ان فن السجع قد ازدهر في المشرق متمثلا في مقامات بديع الزمان الهمذاني ابي الفضل احمد بن الحسين ٣٥٩ - ٣٩٩ هـ ومقامات الحريري ابي علي محمد القاسم ٤٤٦ - ٥١٥ هـ وبعدهما في اسلوب القاضي الفاضل ابي عبد الرحيم البيساني وغيره من الكتاب الذين عنوا بالسجع

وســـاروا على طريقته ولكن الاندلسيين لم يتأخروا عن المشارقة ان لم يكونوا اسبق منهم لريادة هذا الفن اذا ماقورنت تواريخ ظهور السجاعين الاندلسيين بتواريخ ظهور السجاعين المشارقة ، ولم يقتصر التجديد في النثر الاندلسي على اعتماد السجع والاهتمام به بل يلاحظ هذا التجديد حتى في اسماء الكتب الاندلسية وفصولها من ذلك مثلا كتاب العقد الفريد لابن عبدربه احمد بن محمد ٢٤٦ ـ ٣٢٨ هـ الذي قلد المشارقة بالكثير من موضوعاته ولكنه جدد في اسلوبه وديباجته ووضع لكل فصل من فصوله اسماً لطيفاً غريباً فالكتاب هو العقد الفريد واجزاء هذا العقد التي يتكون منهـــا هي ـ اللؤلؤة والفريدة والزبرجدة والجمانة والمرجانة والجوهرة والزمردة والياقوتة والواسطة ثم المسجدة الى غير ذلك من ترف التجديد والتأنق بالنثر واساليبه ، وهكذا يتضح ان الاندلسيين قد جددوا في الشعر والنثر ، ولعل من اسباب هذا التفتح والعطاء والتجديد ، جمال الطبيعة الاندلسية المثير الموحي والرفاهية التي شملت المجتمع الاندلسي ويسر حال ذوي المواهب والقابليات بما كانوا يقابلون به من حكام الاندلس من اكرام وتكريم لدرجة جعلتهم يتفرغون للانتاج الفكري واغنتهم متاعب الاهتمام والتفكير بتدبير الامور المعاشية وما تسببه هذه المتاعب من استنزاف للطاقة الفكرية ، وبما ان النثر الاندلسي كثير وموضوعاته كثيرة ومتنوعة فقد اخترنا شيئاً من الرسالتين الهزلية والجدية لابن زيدون وفصلا مما كتبه ابن حزم ممايتسجم والطابع الادبي لهذه الصفحات للتعرف على اساليب النثر الاندلسي وملاحظة ما فيها من تجديد ، هذا قسم من الرسالة الهزلية وهي من نثر ابن زيدون ـ الذي لغني شهرته عن تعريفه ـ

وقد كتبها على لسان حبيبته ولادة بنت المستكفي الى ابن عبدوس مزاحمه على قلب ولادة وكلها سخرية به وضحك عليه : تقول الرسالة ـ وهي من النثر المسجوع ـ .

اما بعد ايها المصاب بعقله ، المورط بجهله ، البين سقطه ، الفاحش غلطه ، العاثر فى ذيل اغتراره . الاعمى عن شمس نهاره . الساقط سقوط الذباب على الشراب ـ المتهافت تهافت الفراش في الشهاب . فإن العجب اكذب ، ومعرفة المرء لنفسه اصوب ، وانك راسلتني مستهديا ، من صلتي ، ما صفرت منه أيدي امثالك . متصديا من خلتي لما قرعت دونه الوف أشكالك . ـ وتمضي الرسالة مخاطبة ابن عبدوس بنفس اللهجة الساخرة فتقول ـ أنك انفردت بالجمال واستأثرت بالكمال واستعليت فى مراتب الجلال ، واستوليت على محاسن الخلال ، حتى خلت ان يوسف عليه السلام حاسنك ، فغضضت منه ، وان امرأة العزيز رأتك فسلت عنه ، وأن قارون أصاب بعض ما كنزت ، والنطف عثر على فضل ما ركزت ، وكسرى حمل غاشيتك وقيصر رعى ماشيتك ، والاسكندر قتل دارا في طاعتك ، وأردشير جاهد ملوك الطوائف بخروجهم عن جماعتك . والضحاك استدعى مسالمتك ، وجذيمة الابرش تمنى منادمتك ، وشيرين قد نافست بوران فيك ، وبلقيس غايرت الزباء عليك . وأن مالك بن نويرة إنما اردف لك . وعروة بن جعفر المارحل اليك وكليب بن ربيعة انما حمى المرعى بعزتك . وجساساً إنما قتله بأنفتك ، ومهلهلا إنما طلب ثأره بهمتك ، والسموءل انما وفى عن عهدك

والأحنف انما احتبى في بردتك . وحاتم انما جاد بوفرك ، ولقى الأضياف ببشرك ، وزيد بن مهلهل انما ركب بفخذيك . والسليك بن السلكة إنما عدا على رجليك . وعامر بن مالك انما لاعب الاسنة بيديك . وقيس بن زهير انما استعان بدهائك . وإياس بن معاوية انما استضاء بمصباح ذكائك . وسحبان انما تكلم بلسانك . وعمرو بن الاهتم انما سحر ببيانك . وان الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك . والحمالات بين عبس وذبيان أسندت الى كفالتك . وإن احتيال هرم لعلقمة وعامر حتى رضيا . كان ذاك عن إشارتك . وجوابه لعمر وقد سأله عن ايهما كان ينفر : وقع عن ارادتك . وان الحجاج تقلد ولاية العراق بجدك . وقتيبة فتح ما وراء النهر بسعدك . والمهلب اوهن شوكة الأزارقة بيدك وفرق ذات بينهم بكيدك . وأن هرمس اعطى بلينوس ما اخذ منك . وافلاطون اورد على ارسطاطاليس ما نقل عنك وبطليموس سوى الاصطرلاب بتدبيرك وصور الكرة على تقديرك . وبقراط علم العلل والامراض بلطف حسك . وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة حدسك . وكلاهما قلدك في العلاج . وسالك عن المزاج . واستوصفك تركيب الاعضاء . واستشارك في الداء والدواء . وانك نهجت لأبي معشر طريق القضاء . واظهرت جابر بن حيان على سر الكيمياء . واعطيت النظام اصلا ادرك به الحقائق . وجعلت للكندي رسماً استخرج به الدقائق . وأن صناعة الألحان اختراعك . وتأليف الأوتار والأنقار توليدك وابتداعك . وان عبد الحميد بن يحيى باري اقلامك . وسهل بن هارون مدون كلامك . وعمرو بن بحر مستمليك . ومالك بن انس

مستطتيلك وانك للذي اقام البراهين . ووضع القوالبين . وحد الماهية . وبين الكيفية والكمية . وناظـــر في الجوهر والعرض . وميز الصحة من المرض . وفك المعمى . وفصل بين الاســـم والمسمى . وصرف وقسم . وعدل وقوم وصنف الاسماء والافعال وبوب الظرف والحـــال . وبنى وأعرب . ونفى وتعجب ووصل وقطع وثنى وجمع . وأظهر وأضمر. واستفهم وأخبر . واهمل وقيد . وأرسل واسند وبحث ونظر . وتصفح الاديان . ورجح بن مذهبي مانى وغيلان . واشار بذبح الجعد . وقتل بشار بن برد . وأنك لو شئت خرقت للعادات . وخالفت المعهودات . فأحلت البحار عذبة . واعدت السلام رطبة . ونقلت غداً فصار أمساً . وزدت في العناصر فكانت خمسا . وأنك المقول فيه كل الصيد في جوف الفرا . و

ليس على الله بمســـتنكر

ان يجمع العالم فى واحد

والمعنى بقول ابي تمام

فلو صورت نفسك لم تزدها

على ما فيك من كرم الطباع

والمراد بقول ابي الطيب

ذكر الانام لنا فكان قصيدة

كنت البديع الفرد من أبياتها

فكدمت في غير مكدم .واستسمنت ذات ورم ونفخت في غير ضرم

ولم تجد لرمح مهزا ولا لشفرة محزا بل رضيت من الغنيمة بالاياب
وتمنيت الرجوع بخفي حنين :

. وتقول الرسالة في معرض التهديد - والنعل حاضـــرة إن عادت العقرب . والعقوبة ممكنة ان اصر المذنب ه

× × ×

الرسالة الهزلية طويلة وفيها اكثر مما ذكر ولا مجال لنشره كله وهي تعطينا فكرة عن مهارة ابن زيدون بفن الكلام المسجوع كما يلاحظ في رسالته انه قد شرق وغرب وتعرض لذكر كثير من اسماء الاعلام في مختلف العلوم والفنون ولمختلف الحوادث والوقائع والشذرات المتعلقة بأصناف المعارف كل ذلك يدل على سعة اطلاعه وشمول احاطته وقوة براعته . وكثرة ثقافته . وبما ان ذكر شيء من الرسالة الهزلية ملازم لذكر شيء من الرسالة الجدية ومتمم له فسنذكر قسماً من هذه الرسالة ولا بد من الاشارة الى المناسبة التي دعت ابن زيدون لكتابتها ه

لقد انتهى امر ابن زيدون فيما انتهى اليه الى السجن بأمر من الامير ابن جهور وقد اختلفت الروايات المتعلقة بأسباب ســجنه وان بعض تلك الروايات يرجع تلك الاسباب الى ما كان يحيكه ابن عبدوس من مكائد ودسائس ضد ابن زيدون لأمور تتصل بولادة وبمشاكل حب ولادة . ان الرســالة الجدية كأختها الرسالة الهزلية طويلة لذا فإن ما سيمر منهــا ، ما هو الا جزء من كل . وقد ارســل ابن زيدون هذه الرسالة الى الامير ابن جهور من سجنه مستعطفاً . منها قوله :

يا مولاي وسيدي الذي ودادى له واعتدادي به واعتمادي عليه ابقاه الله ماضي حد العزم وارى زند الامل ثابت عهد النعمة . ان ســلبتني

اعزك الله لباس نعمائك وعطلتني من حلي إيناسك ،واظمأتني الى برود إسعافك ونفضت بي كف حياطتك وغضضت عني طرف حمايتك بعد ان نظر الاعمى الى تأميلي لك وسمع الاصم ثنائي عليك . واحس الجماد باستحمادي اليك فلا غرو قد يغص بالماء شاربه ويقتل الدواء المستشفى به . ويؤتى الحذر من مأمنه وتكون منية المتمني في امنيته والحين قد يسبق جهد الحريص .

كل المصائب قد تمر على الفتى

وتهون غير شماتة الحساد

وإني لأتجلد وأرى الشامتين أني لريب الدهر لا اتضعضع فأقول : هل انا الا يد ادماها سوارها وجبين عض به إكليله ومشرفي الصقه بالارض صاقله وسمهري عرضه على النار مثقفه . وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول .

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً

فليقس احياناً على من يرحم

هذا العتب محمود عواقبه وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي وهذه النكبة سحابة صيف عن قليل تقشع ولن يريبني من سيدي ان ابطأ سيبه او تأخر - غير ضنين غناؤه فأبطأ الدلاء فيضاً أملؤها . وأثقل السحائب مشياً احفلها وانفع الحيا ما صادف جدبا والذ للشراب ما اصاب غليلا . ومع اليوم غد ولكل اجل كتاب . له الحمد على اهتباله . ولا عتب عليه في إغفاله .

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً
فأفعاله اللائي سررن الوف

واعود فأقول : ليت شعري ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوك والجهل الذي لم يأت من ورائه حلمك والتطاول الذي لم يستغرقه تطولك . والتحامل الذي لم يف به احتمالك ؟ ولا اخلو من ان اكون بريئاً فأين العدل ؟ او مسيئاً فأين الفضل ؟

إلا يكن ذنب فعدلك واسع
أو كان لي ذنب ففضلك أوسع

حنانيك قد بلغ السيل الزبى ونالني ما حسبي به وكفى وتمضي الرسالة بهذا الاسلوب الرقيق الى ان يصل ابن زيدون الى التعريض بمن سعى به عند الامير ابن جهور واوصله الى سجنه فيقول :

وحسبك من حادث بامرىء
ترى حاسديه له راحمينا

فكيف ولا ذنب إلا نميمة اهداها كاشح ونبأ جاء به فاسق وهم الهمازون المشاؤون بنميم. والواشون الذين لا يلبثون ان يصدعوا العصا والغواة الذين لا يتركون اديماً صحيحاً والسعاة الذين ذكرهم الاحنف بن قيس فقال : ما ظنك بقوم الصدق محمود إلا منهم .

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

والله ما غششتك بعد النصيحة ولا انحرفت عنك بعد الصاغية. ولا نصبت لك بعد التشيع فيك . ولا أزمعت يأساً منك مع ضمان تكفلت به الثقة عنك

وعهد اخلاه حسن الظن عليك فليم عبث الجفاء بأذمتي وعاث العقوق مواتاتي وتمكن الضياع من وسـائلي ؟ ولم ضاقت مذاهبي واكدت مطالبي ؟ وعلام رضيت من المركب بالتعليق بل من الغنيمة بالاياب واني غلبني المغلب وفخر علي العـاجز الضعيف . ولطمتني غير ذات سوار . ومالك لم تمنع من قبل ان افترس وتدركني ولما امزق ام كيف لا تتضرم جوانح الاكفاء حسدا لي على الخصوص بك . وتتقطع انفاس النظراء منافسة في الكرامة عليك . فكيف وقد زانني قديـم خدمتك وزهاني وسم نعمتك . وابليت البلاء الجميل في سماطك وقمت المقام المحمود على بساطك .

الست الموالي فيك غر قصائد
هي الأنجم اقتادت مع الليل انجما
ثنـاء يظن الروض منـه منوراً
ضحى ويخال الوشي فيه منمنما

وهل لبس الصباح الا برداً طرزته بفضائلك وتقلـدت الجوزاء إلا عقداً فصلته بمآثرك . واستملى الربيع الا ثناء ملأته بمحاسنك ، وبث المسك الا حديثاً أذعته في محامدك . ما يوم حليمة بسر . وان كنت لم اكسك سليبا ولا حليتك عطلا . ولا وسمتك غفـلا . بل وجدت آجراً وجصاً فبنيت . ومكان القول ذا سعة فقلت . حاشى لك ان أعـد من العاملة الناصبة . واكون كالذبالة المنصوبة تضيء للنـاس وتحترق فلك المثل الاعلى : وهو ـ بك ـ وبي فيك أولى .

وبعد ان يستطرد الاسير ابن زيدون بمدح آسره واستمالته اليه يعمد الى استثارة عاطفته فيقول له .

ة اعيذك ولمسني من ال اشيم خلبا . واستمطر جهاما . واكدم في غير مكدم واشكوى شكوى الجريح الى العقبان والرخـــم . وانما ابسست لك الالتدر . وما حركت لك الحوار الا لتحن وما نبهتك الا لأنام . وما سريت اليك الا لأحمدالسرى لديك . بعداليقين وانك ان سنيت عقد امري تيسر . ومتى اعذرت في فلك اسري لم يتعذر . وعلمك محيط بأن المعروف ثمرةالنعمةوالشفاعة زكاة المروءة وفضل الجاه تعود بهصدقة.

وفي مثل هذا الاداء المشرق تطول رسالة ابن زيدون ليقصـــر عن إيفاء ما تستحقه من اراد الأطراء وهم بالثناء .

علامات الحب

لقد مر ذكر الفقيه ابن حزم كأحد الاعلام الاندلسيين الذين جمعوا بين مواضيع وفنون متعددة ، ولعل ابن حزم في طليعة هؤلاء الاعلام فهو قد تضلع في الفقه تضلعه في الفلسفة وبرع في الشعر براعته في النثر مع قدرة متناهية على دقة الملاحظة وحسن الالتفاتة وسبر الاغوار النفسية وادراك هواجسها الخفية ومما كتبه فصل نختار شيئاً منه كنموذج آخر من نماذج النثر الاندلسي عنوانه (باب علامات الحب) من كتابه المعروف بـ - طوق الحمامة في الالفة والالاف - لقد ذكر ابن حزم كثير من الكتاب من ذلك ما ذكره عنه ابن الفرضي في كتابه - تاريخ علماء الاندلس - حيث قال عنه (محمد بن حزم المعلم من اهل قرطبة سمع من ابان بن عيسى بن دينر ويحى بن ابراهيم بن مزين وقاسم بن محمد وبقي بن مخلد وغيرهم وكان مجتهداً في طلب العلم فاضلا ذكره خلد)(٥٤) ووصفه الكاتب الاسباني باريخا (Parija) بأنه عالم نفساني (٥٥) .

لقدمرت في حياته فترة حرجة شملت الفكر والمفكرين - سبق الحديث

---

(٥٤) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الاندلس ، ج ١ ص ٣٢٥ ، ط بلاغر نلدة ، مجريط ١٨٩٠ .

(٥٥) Filix M. Pareja Islamologia (II) P. 887-888 - Madrid - 1954

عنها وعن اسبابها ـ احرق خلالها بعض مؤلفاته فنظم ابياتاً من الشعر بهذه المناسبة .

دعوني من إحـــراق رق وكاغد
وقولوا بعلمي كي يري الناس من يدري
فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي
تضمنه القرطاس بل هو في صدري

× × ×

ومن تلك الابيات قوله مفتخراً بمكانته ومتشوقاً للعراق :

انا الشمس في جو العلوم منيرة
ولكن عيبي ان مطلعي الغـــرب
ولو انني من جانب الـــشرق طالـــع
لجدد لي ما ضاع من ذكرى النهب
ولي نحو آفاق العـــراق صـــبابة
ولا غـــروان يستوحش الكلف الصب
ولكن لي في يوسف خـــير اســـوة
وليس على من بالنبي ائتسى ذنب
يقول مقال الحق والصدق إنني
حفيظ عليم ، ما على صادق عتب

× × ×

وفي نفس الحادثة هذه يقول ايضاً

لا يشمتن حاسدي ان نكبة عرضت
فالـــدهر ليس على حـــال بمتـــرك

ذو الفضل كالتبر يلقى تحت متربة
طوراً وطوراً يرى تاجاً على ملك

× × ×

وبعد ان عاد بنا الحديث عن حرق مؤلفات ابن حزم الى الشعر نعود الى موضوعنا - النثر والى -باب علامات الحب - يقول ابن حزم في هذا الباب الطريف .

وللحب علامات يقفوها الفطن ، ويهتدي اليها الذكي . فأولها إدمان النظر . والعين باب النفس الشارع ، وهي المنقبة عن سرائرها ، والمعبرة لضمائرها ، والمعربة عن بواطنها . فترى الناظر لا يطرف ، يتنقل بتنقل المحبوب وينزوي بانزوائه . ويميل حيث مال كالحرباء مع الشمس . ومنها الاقبال بالحديث فما يكاد يقبل على سوى محبوبه ولو تعمد غير ذلك وان التكلف ليستبين لمن يرمقه فيه ، والانصات لحديثه اذا حدث ، واستغراب كل ما يأتي به وكأنه عين المحال وخرق العادات ، وتصديقه وإن كذب ، وموافقته وإن ظلم ، والشهادة له وإن جار ، واتباعه كيف سلك ، واي وجه من وجوه القول تناول ، ومنها الاسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه ، والتعمد للقعود بقربه والدنو منه ، واطراح الاشغال الموجبة للزوال عنه ، والاستهانة بكل خطب جليل داع الى مفارقته ، والتباطؤ في المشي عند القيام عنه .

ومنها بهت يقع وروعة تبدو على المحب عند رؤية من يحب فجأة وطلوعه بغتة . ومنها اضطراب يبدو على المحب عند رؤية من يشبه محبوبه او عند سماع اسمه فجأة ، ومنها ان يجود المرء ببذل كل ما كان يقدر عليه مما كان ممتنعاً به قبل ذلك كأنه هو الموهوب له والمسعى في حظه ، كل ذلك ليبدي محاسنه ويرغب في نفسه . فكم بخيل جاد ،

وقطوب تطلق وجبان تشجع وغليظ الطبع تطرب ، وجاهل تأدب ، وتفل تزين ، وفقير تجمل ، وذي سن تفتى ، وناسك تفتك ومصون تبذل .

وهذه العلامات تكون قبل استعار نار الحب وتأجج حريقه وتوقد شعله واستطارة لهبه : فأما اذا تمكن وأخذ مأخذه فحينئذ ترى الحديث سرارا ، والاعراض عن كل ما حضر الا عن المحبوب جهاراً .

ومن علاماته وشواهده الظاهرة لكل ذي بصر الانبساط الكثير الزائد ، والتضايق في المكان الواسع ، والمجاذبة على الشيء يأخذه احدهما ، وكثرة الغمز الخفي ، والميل بالاتكاء ، والتعمد لمس اليد عند المحادثة ، ولمس ما أمكن من الاعضاء الظاهرة ، وشرب فضلة ما ابقى المحبوب في الاناء ، وتحري المكان الذي يقابله فيه ومن علاماته حب الوحدة والانس بالانفراد ، والسهر من اعراض المحبين) (٥٦) الخ ....

---

(٥٦) ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص ١١-١٥ ط الاستقامة القاهرة ١٩٦٤م

شاعران مجدان

ابن هاني

(١)

ابو القاسم محمد بن هاني الأندلسي في طليعة شعراء الأندلس المجددين ولد بأشبيلية عام ٣٢٦هـ وكان ذلك في عهد حكم الملك الناصر وعندما ترعرع وشب أقبل على دراسة علوم اللغة وآدابها على أيدي أساتذة أجلاء وكان من حسن حظه ويمن طالعه ان كان له أب أديب وشاعر يدرك ما للادب والشعر من قيمة ومكانة فكان يشجعه على الارتواء من مناهل المعرفة والتزود من ينابيع الشعر والانتفاع بمصادره وموارده والاكثار من نظمه فصار شاعراً كبيراً ذا خيال مجنح جواب وقريحة وقادة وتمكن ذواق باختيار أدق المعاني ومقدرة باهرة على تصويرها وعرضها ، أحكم ابن هاني صلته بصاحب اشبيلية فاستماله اليه بشعره وأدبه وكانت أشبيلية في ذلك الوقت قد بلغت مستوى حضارياً عالياً تزدهر بكل مايبهج النفس ويقر الناظر فانغمس شاعرنا في اللهو والترف والنعيم شأن أكثر الشعراء الأندلسيين ودفعه ذلك الانغماس الى التحلل من قيود الالتزام بما كان يلتزم به المتزمتون وأخذ يميل الى النظر وإبداء الرأي فيما كان الفقهاء لا يحبذون النظر وإبداء الرأي فيه وكثر حوله القيل والقال فأشار عليه صاحب اشبيلية بمغادرة البلاد حتى يهدأ غليان الناس عليه ولا تمتد اليه الأيدي بالاذى فسافر ابن هاني الى عدوة المغرب وكان في أواسط العقد الثالث من عمره ، فهيأ له حسن الصدف اللقاء مع القائد جوهر الذي فتح مصر وأخضعها للمعز لدين الله الفاطمي

ابن هاني الشعر بمدح جوهر فقربه اليه وأكرمه وكان اتصـــاله بالقائد جوهر واسطة أوصلته الى المعز لنفسه فمدحه بقصائد كثيرة ، وبعد ان تم فتح مصر واستتب فيها الامن توجه المعز اليها وتخلف عنه شاعره ابن هاني على ان يلحق به وعندما سافر قاصداً مصر لحاق بالمعز مر خلال سفره هذا على برقة فاستضافه أحد سكانها وأقام عنده ممتعاً بالشراب حتى مات ولم يتجاوز السادسة والثلاثين من العمر ؟

كان ابن هاني يدعى بمتنبي المغـــرب مقارنة له بأبي الطيب متنبي المشرق ، ان شعره متعدد الاغراض مع ميله الملحوظ الى المبالغة بل والى الافراط فيها ببعض موضوعات قصائده ، مما يدل على مكانة ابن هاني مارواه الكثيرون عنه منهم ابن رشيق في عمدته حيث قال عنه : (ولما وصل ابو القاسم ابن هاني ء الى افريقية هجاه الشعراء : قال لا أجيب منهم أحداً إلا ان يهجوني علي التونسى فاني أجيبه فلما بلغ قوله علياً قال : أما اني لو كنت الأم الناس ماهجوته بعد ان شرفني على أصحابي وجعلني من بينهم كفئاً له (٥٧).

لابن هاني أبيات كثيرة سارت مسير الامثال المضـــروبة ولمثل هذه الابيات التي تصلح لأن تكون أمثالا سائرة مؤهل لابد من توفره فيها هو لكامل وحدة الفكرة واستقلالها في البيت نفسه بحيث لو اسـتقطع هذا البيت من قصيدة فان هذا الاســتقطاع لا يؤثر على وحدة معناه واستقلالها فلا يبقى شيء منها فى الابيات التي سبقته ولا فى الابيات التي لحقت به ، من ذلك مثلا هذا البيت لابن هاني من قصيدة طويلة :

---

(٥٧) ابن رشيق ــ العمدة ، ج ١ ، ص ٩٢ ، ط ، حجازي ، القاهرة ١٩٣٤م

وكل اناة فى المواطن سؤدد

ولا كأناة من قدير محكم

وقول ابن هاني ايضاً فى بيت آخر :

فليس لمن لا يرتقي النجم همة

وليس لمن لا يستفيد الغنى حلم

× × ×

من قصيدة نظمها ابن هاني يمدح القائد جوهر وهو فى طريقه من القيروان الى مصر وصف فيها جيش جوهر وذكر خروجه لتوديع القائد وجيشه .

أمين الله بعد أمينه (٥٨)

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع

وقد راعني يوم من الحشر أروع

غداة كأن الأفق سد بمثله

فعاد غروب الشمس من حيث تطلع

فلم أدر اذ سلمت كيف أشيع

ولم أدر إذ شيعت كيف أودع

وكيف أخوض الجيش والجيش لجة

واني بمن قد قاده الدهر مولع

---

(٥٨) ابن هاني : الديوان : ص ١٩٢ ــ ١٩٣ و١٩٩ ،ط: دار صادر: بيروت ١٩٦٤ .

زأى ومالي بين ذا الجمع مسلك
ولا لجوادي في البسيطة موضع

الا ان هذا حشد من لم يذق له
غرار الكرى جفن ولا بات يهجع

نصيحته للملك سدت مذاهبي
وما بين قيد الرمح والرمح اصبع

فقد ضرعت منه الرواسي لما رأت
فكيف قلوب الانس والانس اضرع

فلا عسكر من قبل عسكر جوهر
تخب المطايا فيه عشراً وتوضع

تسير الجبال الجامدات بسيره
وتسجد من أدنى الحفيف وتركع

إذا حل في أرض بناها مدائناً
وإن سار عن أرض ثوت وهي بلقع

سموت له بعد الرحيل وفاتني
فأقسمت ان لا لاءم الجفن موضع

فلما تداركت السرادق في الدجى
عشوت اليه والمشاعل ترفع

فتخرق جيب المزن والمزن دالح
وتوقد موج اليم و اليم أسفع

فبت وبات الجيش جماً سميره
يؤرقني والجفن في البيد هجع

وهمهم رعد آخر الليل قاصف

ولاحت مع الفجر البوارق تلمع

وأوحت الينا الوحش ما الله صانع

بنا وبكم من هول ما تتسمع

ولم تعلم الطير الحوائم فوقنا

الى أين تستذري ولا أين تفزع

الى ان يقول للقائد جوهر :

سيعلم من ناواك كيف مصيره

ويبصر من قارعته كيف يقرع

إذا صلت لم يكرم على السيف سيد

وإن قلت لم يقدم على النطق مصقع

تقيك الليالي و الزمان و أهله

ومصفيك محض الود و المتصنع

وكل امريء في الناس يسعى لنفسه

وأنت امرؤ بالسعي للملك مولع

تعبت لكيما يعقب الملك راحة

فهلا فداك المستريح المودع

فأشفق على قلب الخلافة انه

حنانا و إشفاقا عليك مروع

× × ×

أحلقه لهوات أم ميادين (٥٩)

من طريف شعر ابن هاني مايصف به رجلا أكولا ، وفي هذا الوصف ومعانيه تجديد وتنوع فى الموضوعات التي برع الشاعر فيالتعبير عنها ، يقول ابن هاني :

انظر اليه وفي التحريك تسكين
كأنما التقمت عنه التنالين

يا ليت شعري إذا أومى الى فه
احلقه لهوات أم ميادين

كأنها و خبيث الزاد يضرمها
جهنم قذفت فيها الشياطين

تبارك الله ما امضى أسنته
كأنما كل فك منه طاحون

كأن بيت سلاح فيه مختزن
مما أعدته للرسل الفراعين

اين الأسنة أم اين الصوارم أم
أين الخناجر أم اين السكاكين ؟

---

(٥٩) المصدر السابق ، ص ٣٧٦ — ٣٧٧

كأنما الحمل المشوي في يده
ذو النون في الماء لما عضه النون
لف الجداء بأيديها وأرجلها
كأنما افترستهن السراحين
فغادر البط من مثنى وواحدة
كأنما اختطفتهن الشواهين
يخفض الوز من قرن الى قدم
وللبلاعم تطريب و تلحين
كأن فى فكه أيتام أرملة
او باكيات عليهن الشبابين
كأنما ينتقي العظم الصليب له
من تحت كل رحى فهر وهاوون
كأنما كل ركن من طبائعه
نار وفي كل عضو منه كانون
كأنما فى الحشا من خمل معدته
قرنفل و جواريش و كمون
قوموا بنا فلقد ريعت خواطرنا
و جاذبتنا الأعنات البراذين
نصحتكم فخذوا من شدقه وزراً
أو لا فأنتم سويق فيه مطحون
فليس ترويه أمواه الفرات ولا
يقوته فلك لوح وهو مشحون

× × ×

هذا المعز ابن النبي (٦٠)

ونختتم الحديث عن ابن هاني بذكر مقدمة قصيدة مشهورة له قالها في المعز لدين الله وقد تعرض فيها لعرض اليه في هذه المقدمة الى وصف حالته النفسية بعد ان تقدمت به السن ثم يعرج الى وصف جواده الثناء صولاته وجولاته في ميادينه المختلفة فيقول :

قد سار بي هذا الزمان فأوجفا
وحدا مشيبي من شبابي أحرفا

إلا اكن بلغت بي السن المدى
فلقد بلغت من الطريق المنصفا

فأما وقد لاح الصباح بلمتي
وانجاب ليل صبابتي وانكشفا

فلئن لهوت لألهون تصنعاً
ولئن صبوت لأصبون تكلفا

ولئن ذكرت الغانيات فخطرة
تعتاد صباً بالحسان مكلفا

فلقد هززت غصونها بثمارها
وهصرتهن مهفهفاً فمهفهفا

(٦٠) المصدر السابق ص ٢٠٢ — ٢٠٥

والباه في الكتباه طوح يدي إذا

أومأت ايماء اليه تعطفا

ولقد هززت الكأس في يد مثلها

وصحوت عما رق منها أو صفا

فرددتها من راحتيه مزة

وشربتها من مقلتيه قرقفا

ما كان أفتكني لو اخترطت يدي

من ناظريك على رقيبك مرهفا

وخدور مثلك قد طرقت لقومها

متعرضاً ولأرضها متعسفا

ويصف جواده فيقول:

بأقب لا يدع الصهيل الى القنا

حتى يلوك خطامها المتقصفا

يسري فأحسب في عناني قائفاً

متفرساً او زاجراً متعسفا

يرمى الأنيس بمسمعي وحشية

قد أوجسا من نبأة فتشوفا

فتقدما و تنصبا و تدالقا

و تلطفا و تشرفا و تحرفا

وتكنفاني ينفضان لي الدجى

فإذا أمنت ترصدا فتخوفا

فكأنما وقع الصريخ اليهما
بمصار الطاغية فاستوجلا

ثغر أضاع حريمه أربابه
حتى أهين عزيزه واستضعفا

يصل الرنين الى الرنين لحادث
يربد منه البدر حتى يكسفا

مالي رأيت الدين قل نصيره
بالمشرقين وذل حتى خوفا

هم صيروا خدماً تسوس أمورهم
يا للزمان السوء كيف تصرفا

من كل مسود الضمير قد انطوى
للمسلمين على القلى و تلففا

عبدان عبدان و تبع تبع
فالفاضل المفضول والوجه القفا

أسفي على الأحرار قل حفاظهم
ان كان يغني الحر ان يتأسفا

ثم يصل الى مدح المعز فيقول من ابياته (لا مجال لنشرها لكثرتها) :

هذا المعز ابن النبي المصطفى
سيذب عن حرم النبي المصطفى

فى صدر هذا العام لا يلوي على
أحد يلفت خلفه وتوقفا

وأنا الضمين له بملك قيادهم
طوعاً اذا الملك العنيف تعجرفا

ابن خفاجة

(٢)

هو ابو اسحق ابراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة ولد في شقر احدى المدن التابعة للعاصمة الاندلسية بلنسية سنة ٤٥٠ هـ ١٠٥٨م وتوفي فيها سنة (٥٣٣ هـ ١١٣٧م) أحد كبار شعراء الاندلس المعدودين المجددين ، طرق اكثر الاغراض الشعرية وصور كثيراً من اللوحات الطبيعية بريشة الرسام الملهم المتمكن وغرض وصف الطبيعة ابرز تلك الاغراض تميز به شعره المجدد ، فهو بحق شاعر الطبيعة الاندلسية ومصورها البارع ، لم يقصر ابو اسحاق من الركض وراء متعه ونزواته ولم يتخلف في هذا الميدان عن غيره من الشعراء الاندلسيين الذين أطلقوا العنان لأنفسهم فاستحلبوا اوقاتهم أيما استحلاب ، لكنه اختلف عن الكثير منهم وذلك في أواخر ايامه عندما تقدمت به السن إذ ركن الى الهدى والصلاح والصرف عن شرب المدام القراح وأعرض عن مغازلة الغواني الملاح لذا فإن شعره يمثل طورين متميزين من حياته ، الاول المشوب بالحسرة والألم ولا سيما عند خطرات ذكرياته الذاهبة المذهبة كما سيلاحظ ذلك فيما سيمر له من شعر ، لقد ذكره الكثيرون من المعنيين بالدراسات الاندلسية أحدهم الامام ابو نصر الفتح بن خاقان فى كتابه (قلائد العقيان) حيث قال « الفقيه الاديب ابو اسحاق بن خفاجة مالك أعنة المحاسن وناهج طريقها ، العارف بترصيعها وتنميقها : الناظم لعقودها : الراقم لبرودها ، المجيد لارهافها : العالم بجلائها وزفافها : تصرف فى

فنون الأبداع كيف شاء ، وأبلغ دلوه من الاجادة الرشاء ، فشعشع القول وروقه ومد في ميدان الاعجاز طلقه ، فجاء نظامه أرق من النسيم العليل وآنق من الروض البليل ؛ يكاد يمتزج بالروح ، وترتاح اليه النفس كالغصن المروح . ان اشبب فغمزات العيون الوطف او اشارات البنان التي تكاد تعقد من اللطف . وان وصف سراه والليل بهيم ما فيه وضوح ؛ وخد الثريا بالندى منضوح ؛ فناهيك من عرض انفرد بمضماره ، وتجرد لحمى ذماره . وان مدح فلا الاعشى للمحلق ، ولا حسان لاهل جلق . وان تصرف فى فنون الاوصاف : فهو كفارس خصاف ؛ وكان فى شبيبته مخلوع الرسن في ميدان مجوله كثير الوسن بين صفاء الانتهاك وحجوله . لا يبالي بمن التبس ؛ ولا أي نار اقتبس . إلا انه قد نسك اليوم نسك ابن أذينه ؛ وغض عن ارسال نظره في اعقاب الهوى عينه ؛ وقد أثبت له مايقف عليه الدواء ؛ وتصرف اليه الاهواء (اخبرني) انه لما أقلع عن صبوته وطلع ثنية سلوته ، والكهولة قد حنكته . وأسلكته من طرق الارعواء حيث اسلكته . نام فرأى انه مستيقظ وجعل يفكر فيا مضى من شبابه ، وفيمن ذهب من احبابه ويبكي على ايام لهوه . وأوان غفلته وسهوه . ويتوجع لسالف ذلك الزمان ويتبع الذكر دمعاً كواهي الجمان ثم استيقظ وهو يقول :

ألا ساجل دموعي يا غمام
وطارحني بشجوك يا حمام

فقد وفيتها ستين حولا
ونادتني ورائي هل امام

وكنت ومن لباناتي لبيني
هناك ومن مراضعي المدام

يطالعنا الصباح ببطن حزوى

فينكرنا و يعرفنا الظـلام

وكان لي البشـام مراح أنسي

فماذا بعدنا فعل البشـــــام

فيا شرخ الشـباب ألا لقاء

يبل به على برح أوام

ويا ظل الشباب وكنت تندى

على أفياء سرحتك السلام (٦١)

× × ×

ومن رواجع حسراته ولواذع تأوهاته على الشباب وايام الشباب:

أما وشـبـاب قد ترامت به النوى

فأرسـلت في أعقابه نظرة عبرى

لقد ركبت ظهر السرى بي لومة

فأصبحت في ارض وقد بت في اخرى

أقلب جفناً لا يجف فكلما

تأوهت من شكوى تألمت عن سكرى

فها انا لا النفس يخف بها المنى

فتلهو ولا سمع تطير به بشـــرى

---

(٦١) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٢٤١ــ ٢٤٢ ط ، التقدم العلمية مصر ١٣٢٠هـ .

وإني إذا ما شـــاقني لحمامة
رنين و هزني لبارقة ذكرى

لاجمع بين الماء و النار لوعة
فمن مقلة ريا ومن كبد حرى

وقد خط خطب الشيب في جانب الردى
فصارت به صغرى التي كانت الكبرى

ان ابن خفاجة — كما سبق الحديث عنه — تناول اكثر الاغراض الشـــعرية فجود وجدد بكل ما تناوله متمثلا بالمعنى الرقيق والأداء الرشيق . فمن شـــعره قصيدة نظمها بمدح الامير ابي يحيى بن ابراهيم ويذكر فيها خروجه للصيد ويتعرض لوصف الكثير من الطير والوحش وهذه من المعاني التي جدد بها الشعراء الاندلسيون ، ان القصيدة طويلة لا مجال لإثباتها كلها ما دام الغرض هو التعرف على اغراض الشاعر وأسلوبه ؛ وهذا قسم من القصيدة وهي بعنوان :

سمح الخيال (٦٢)

سمح الخيال على النوى بمزار
والصبـــح يمسح عن جبين نهار

فرفعت من ناري لضيف طارق
يعشو اليها من خيـــال طاري

ركب الدجى احسن به من مركب
وطوى السرى أحبب به من ساري

وأناخ حيث دموع عيني منهل
روي وحيث حشاي موقد نار

(٦٢) ابن خفاجة الديوان ، ص ٢٠٥ — ٢٠٨ ط ، المناهل ، بيروت ١٩٥١

وسـقى فأروى خلة من ناهل
أورى بجانحيـه زناد أوار

خلع الهوى ثوباً عليه من الضنى
قد شف عنه فهو كاس عاري

يلوي الضلوع على الولوع لخطرة
من شـيم برق او شميم عرار

والليل قد نضح الندى سرباله
فانهل دمع الطل فوق صدار

لبس الهجر على السواد فخلته
مترهباً قد شد من زنار

ووراء أسـتار الدجى متململ
يلقي بيمنى تارة و يسـار

ما طالعته برقة نجـدية
إلا اجتلتها نظرة استعبار

مترقب وسـل الرياح عشـية
بمساقط الأنواء و الأنوار

ومجر ذيل غمامة لبست به
وشي الحباب معاطف الأنهار

خلعت ظلال الأيك فيه ذوائباً
وارتج ردفاً مائج التيار

الى ان يقول :

يا كرته والغيم قطعة عنبر
مشبوبة و البرق فحمة نار

والريح تلطم فيه أرداف الربى
لعباً و تلثم أوجه الأزهـــار
ومنابر الأشجار قد قامت بها
خطباء ملصحة من الأطيار
في فتية جنبوا العجاجة ليلة
ولربما سـفروا عن الاقمـار
نار القتام بهم دخاناً و ارتمى
زند الحفيظة منهم بشرار
شاهدت من هباتهم و هبالهم
أشراف أطواد و فيض بحـار
من كل منتقب بوردة خجلة
كرماً و مشتمل بثوب وقار
في عمة خلعت عليه كلمة
و ذؤابة قرنت بها كعـذار
ضافي رداء المجد طماح العلا
طامى عباب الجود رحب الدار
جرار أذيال المعالي و القنا
حامى الحقيقة والحمى و الجار
طرد القنيص بكل قيد طريدة
زجل الجناح مورد الاظفار
ملتفة أعطـافه بحبيرة
مكحولة أجفـاله بنضـار

يرى به الأمل القصي فيثني
مخضوب راه الظفر و المنقار

وبعد أن يسترسل ابن خفاجة بوصف للقطات من مشاهد الصيد يصل الى مدح ابي يحيى :

وارب طيار خفيف قد جرى
فشلا بجار خلفه طيار
من كل قاصرة الخطى مختالة
مشي الفتاة تجر فضل ازار
مخضوبة المنقار تحسب انما
كرعت على ظمأ بكاس عقار
لا تستقر بها الايادي خشية
من ليل ويل او نهار بوار
ولو استجارت منهما بحمى ابي
يحيي لأمنها أعز جوار
حرم إذا اشتمل الطريد بظله
لم يخش من جور هنالك جاري
جذلان يملأ نفحة وبشاشة
أيدي العفاة وأعين الزوار
منقسم ما بين بدر دجنة
أسرى وبين غمامة مدرار
أرج الندي بذكره فكأنه
متنفس عن روضة معطار

في حسن منطقه وهشة وجهه
مستمتع الأسمـاع والابصار

جاري الرياح الى السماح فاجرت
معه الرياح النكب في مضمار

وزكا فشد على العفاف ازاره
ان العفـاف لشـيمة الاحـرار

مقيم وذاهب(٦٣)

في قصيدة ـ مقيم وذاهب ـ التي تعد من غرر قصائد ابن خفاجة ـ وصف لجبل مر به الشـاعر وحديث تخيل وقوعه بينه وبين الجبل وفي هذا الحديث المتخيل مافيه من عبرة وموعظة بأسلوب تتمثل فيـه الجدة والتجديد :

بعيشك هل تدري أهـوج الجنائب
تخب برحلي أم ظهـور النجـائب ؟
فما لحت في اولى المشارق كوكباً
فأشرقت حتى جئت اخرى المغارب
وحيـداً تهـاداني الفيـافي فأجتلي
وجـوه المنـايا في قنـاع الغياهب
ولا جـار إلا في حسـام مصمم
ولا جار الا في قتـود الركائب

(٦٣) المصدر السابق ص ١٧٤ ــ ١٧٥ .

ولا أنس إلا انه أضاحك ساعة
تغور الأماني في وجوه المطالب
وليل إذا ما قلت قد باد وانقضى
تكشف عن وعد من الظن كاذب
سحبت الدياجي فيه سود ذوائب
لأعتنق الآمال بيض ترائب
فمزقت جيب الليل عن شخص أطلس
تطلع وضاح المضاحك قاطب
رأيت به قطعاً من الفجر اغبشاً
تأمل عن نجم توقد ثاقب

ثم يصل ابن خفاجة الى وصف الجبل والى الحديث المعبر :

وأرعن طماح الذؤابة باذخ
يطاول أعنان السماء بغارب
يسد مهب الريح من كل وجهة
ويزحم ليلا شهبه بالمناكب
وقور على ظهر الفلاة كأنه
طوال الليالي مفكر في العواقب
يلوث عليه الغيم سود عمائم
لها من وميض البرق حمر ذوائب
اصخت اليه وهو أخرس صامت
فحدثني ليل السرى بالعجائب
وقال : ألا كم كنت ملجأ قاتل
وموطن أواه تبتل تائب

وكم مر بي من مدلج ومؤوب
وقال بظلي من مطي وراكب

ولاطم من نكب الرياح معاطفي
وزاحم من خضر البحار غواربي

فما كان الا ان طوتهم يد الردى
وطارت بهم ريح النوى والنوائب

فما خفق ايكي غير رجفة أضلع
ولا نوح ورقي غير صرخة نادب

وماغيض السلوان دمعي وانما
نزفت دموعي في فراق الصواحب

فحتى متى أبقى ويظعن صاحب
أودع منه راحلا غير آيب ؟

وحتى متى أرعى الكواكب ساهراً
فمن طالع اخرى الليالي وغارب

فرحماك يا مولاي دعوة ضارع
يمد الى نعماك راحة راغب

فأسمعني من وعظه كل عبرة
يترجمها عنه لسان التجارب

فسلى بما أبكى وسرى بما شجا
وكان على عهد السرى خير صاحب

فقلت وقد نكبت عنه لطية
سلام فإنا من مقيم وذاهب

من اشـــعارهن

مما تميز به الشعر الاندلسي ظهور عدد غير قليل من النساء الاندلسيات نظمن الشعر واكثرهن من الجواري الحسان، وكانت قيمة الجارية تقاس بقدر مالها من الجمال وحسن الصوت والاهتمام بالشعر وقد اقتصرت اشعارهن على الغزل والنوازع الوجدانية الاخرى تقريباً مما أضفى على الشـــعر الاندلسي حلاوة وطلاوة التجديد، وهذه الظاهرة الادبية ترتبط بظواهر اجتماعية تميز بها المجتمع الاندلسي منها اختلاط الرجال بالنساء والحرية الفردية التي كان الاندلسيون يمارسونها ويعبرون بواسطتها عن مرحهم وحبهم للحياة وكانت الحاجة للشعر ادعى في مجالس الانس والطرب التي كان لها شأن وأي شأن في المجتمع الاندلسي ولا بد ان يكون الغناء قوام تلك المجالس والشعر مادة ذلك الغناء، هذه العــوامل وغيرها جعلت للشعر في الاندلس اهمية خاصة محببة دفعت اليه الرجال والنساء على حد سواء وقد آثرنا ان يكون مسك ختام هذه الجولة القصيرة في رياض (الادب الاندلسي) بعض المختارات (من اشعارهن) التي تعبر عن بعض المعاني والاغراض الاندلسية الجديدة الاصيلة لأنها نابعة من واقع اندلسي

عقد المنصور بن ابي عامر مجلس شراب، فلما فعلت الكؤوس فعلها في الرؤوس غنت جاريته - انس القلوب (٦٤)

---

(٦٤) أ. ر. نيكل، مختارات من الشعر الاندلسي ص ٣٨ - ٣٩، ط: الكشافة، بيروت ١٩٤٩ م

قدم الليل عند سير النهار
وبدا البدر مثل نصف سوار

فكأن النهار صفحة خد
وكأن الظلام خط عذار

وكأن الكؤوس جامد ماء
وكأن المدام ذائب نار

نظري قد جنى علي ذنوباً
كيف مما جنته عيني اعتذاري؟

يا لقوم تعجبوا من غزال
جائر حي مهجتي وهو جاري

ليت لو كان لي اليه سبيل
فأقضي من حبه اوطاري

وكان في المجلس شاب اسمه ابو المغيرة عبدالوهاب بن حزم عرف انه المعنى بالابيات فارتجل من ساعته :

كيف كيف الوصول للأقمار
بين سمر القنا وبيض الشفار

لو علمنا بأن حبك حق
لطلبنا الحياة منك بثار

وإذا ما الكرام هموا بشيء
خاطروا بالنفوس فى الاخطار

فأستثار ذلك المنصور وهم بقتل الجارية فبكت واعتذرت بأن حبها

لم يكن برغبة منها ولكنه قدر من الله لا استطيع له رداً فقال ابو المغيرة على لسان الجارية :

اذنبت ذنباً عظيما فكيف منه اعتذاري ؟

و الله قدر هذا ولم يكن باختياري

والعفو أحسن شيء يكون عند اقتدار

وللشاعرة حفصة بنت حمدون هذان البيتان :

لي حبيب لا ينثني لعتاب
و إذا ما تركته زاد تيها

قال لي هل رأيت لي من شبيه ؟
قلت ايضاً: وهل ترى لي شبيها؟

وقالت مريم بنت ابي يعقوب بعد ان ادركتها الشيخوخة :

وما يرتجى من بنت سبعين حجة
وسبع كنسج العنكبوت المهلهل

تدب دبيب الطفل تسعى الى العصا
وتمشي بها مشي الأسير المكبل ؟

× × ×

أما الشاعرة حفصة الركونية فهي تبعث سلامها لحبيب نزح عنها فتقول :

سلام يفتح في زهره الكمام
وينطق ورق الغصون

على نازح قد نوى في الحشا
وان كان يحرم منه الحظـــوة

فلا تحسبوا البعد يلسيكم
فذلك والله ما لا يكون

وتقول عن هذا الحبيب النازح :

ولو لم يكن نجما لما كان ناظري
وقد غبت عنه مظلما بعد نوره

ســـلام على تلك المحاســـن من شج
تناءت بنعماه وطيب سروره

ومن شعرها ايضاً :

سلوا البارق الخفاق والليل ساكن
اظل بأحبابي يذكرني وهنا

لعمري لقد أهدى لقلبي خفقة
وأمطرني منهل عارضه الجفنا

وتشتد غيرة حفصة على حبيبها ولكن من اي شيء تغار عليه ؟

أغار عليك من عيني رقيبي
ومنك ومن زمانك و المـــكان

ولو اني خبأتك في عيوني
الى يوم القيـــامة ما كفاني

× × ×

ويعود الحبيب النازح فتكتب اليه حفصة مسرعة :

أزورك ام تزور ؟ فان قلبي
الى ما تشتهي ابداً يميل
فثغري مورد عذب زلال
وفرع ذؤابتي ظل ظليل
وقد املت ان تظما وتضحي
إذا وافى اليك بي المقيل
فعجل بالجواب فما جميل
اباؤك عن بثينة يا جميل
× × ×

اما الشاعرة ام الحناء بنت القاضي ابي محمد عبدالحق : فهي لم تكتب لحبيبها لزيارته ولكنه هو الذي كتب اليها فغلب عليها السرور حتى ابكاها :

جاء الكتاب من الحبيب بأنه
سيزورني فاستعبرت أجفاني
غلب السرور علي حتى انه
من فرط عظم مسرتي أبكاني
يا عين صار الدمع عندك عادة
تبكين في فرح و في احزان
فاستقبلي بالبشر يوم لقائه
ودعي الدموع لليلة الهجران
× × ×
غير ان الشاعرة هند جارية ابي محمد عبدالله بن مسلمه الشاطبي دعيت لزيارة سيدها فكيف كانت اجابتها على هذا الطلب ؟

يا سيداً حاز العلى هل ساده
(شم الانوف من الطراز الاول)

حسبي من الاسراع نحوك انني
كنت الجواب مع الرسول المقبل

اما ولادة بنت المستكفي فقد كانت من ألمع نجوم الادب والشعر في سماء الاندلس يقول عنها الكاتب الاسباني بالنثيا .. (Palencia) انها اول امرأة اندلسية نزعت اللثام واختلطت بالرجال (٦٥) ،

لقد استوحت ولادة اكثر اشعارها من علاقتها العاطفية مع ابن زيدون ومن تأثرها بتلك العلاقة التي استوحى ابن زيدون ايضاً اكثر شعره الوجداني النابض منها ، من شعر ولادة وقد ارسلته الى ابن زيدون

ترقب اذا جن الظلام زيارتي
فاني رأيت الليل اكتم للسر

وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلح
وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

ومما كتبته لابن زيدون معاتبة وقد احست بأنه يميل الى جارية لها سوداء :

لو كنت تنصفني الهوى ما بيننا
لم تهو جاريتي ولم تتخير

---

(٦٥) *Angel Gonzalez Palencia*
Historia De La Literatura Arabigo Andaluza.
P. 69 - Barcelona. 1954

وتركت غصناً مثمراً بجماله
وجنحت للغصن الذي لم يثمر

ولقد علمت بأنني بدر السما
لكن ولعت لشقوتي بالمشتري

ويرى الكاتب الاسباني (بالنثيا) فى كتابه الذي مر ذكره في الهامش « ان سبب ترك ولادة لابن زيدون واقبالها على ابن عبدوس هو حب ابن زيدون لجاريتها ، من المشهور عنها انها كتبت على الجانب الايمن من ثوبها هذا البيت من الشعر وطرزت الحروف بالذهب الخالص :

انا و الله اصلح للمعالي
و أمشي مشيتي وأتيه تيها

وكتبت على الجانب الايسر :

وامكن عاشقي من صحن خدي
و أعطى قبلتي من يشتهيها



المراجع

مراجع عربية :

ابن الاثير (المتوفى عام ٦٣٠ هـ ابو الحسن علي بن محمد عبد الكريم) الكامل في التاريخ .ط. دار صادر. بيروت ١٩٦٦

الاصفهاني (المتوفى عام ٥٩٧ هـ ابو عبد الله عماد الدين محمد بن صفي الدين) خريدة القصر وجريدة الدهر – تحقيق عمر الدسوقي – ط. الرسالة مصر ١٩٦٤

بالنثيا (آنخل جنثالث) تأريخ الفكر الاندلسي – ترجمة الدكتور حسين مؤنس – ط. النهضة المصرية . القاهرة ١٩٦٥

ابن بسام (المتوفى عام ٥٤١ هـ ابو الحسن علي) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة قدم له الدكتور طه حسين- ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٣٩

البستاني (بطرس) ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث .ط. مكتبة صادر بيروت ١٩٣٧

البستاني (كرم) شعر ابن خفاجة ط. المناهل. بيروت ١٩٥١

البصير (محمد مهدي) الموشح في الاندلس وفي المشرق . ط. المعارف. بغداد ١٩٤٨

ابن حزم (المتوفى عام ٤٥٦هـ ابو محمد علي بن احمد بن سعيد) طوق الحمامة في الالفة والآلاف - تحقيق حسن كامل صيرفي ط. المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة ١٩٦٤

حتي (ممدوح) العروض الواضح . ط. اليقظة العربية . دمشق ١٩٤٠

الحنبلي (المتوفى عام ١٠٨٩هـ ابو الفلاح عبدالحي بن العماد) شذرات الذهب في اخبار من ذهب . ط. مكتبة القدسي . القاهرة ١٣٥٠

ابن خاقان (المتوفى عام ٥٢٩هـ ابو نصر الفتح محمد بن عبيدالله) قلائد العقيان ط. التقدم العلمية مصر ١٣٢٠

ابن خلدون (المتوفى عام ٨٠٨هـ عبدالرحمن) المقدمة .ط. البهية (لم يذكر تاريخ الطبع)

خوري (رئيف) التعريف في الادب العربي . ط . (لم تذكر المطبعة) بيروت ١٩٦٢ .

ابن رشيق (المتوفى عام ٣٤٥هـ الحسن علي) العمدة – تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد . ط . حجازي . القاهرة ١٩٣٤ .

الركابي (جودت) في الادب الاندلسي: ط. دار المعارف. مصر ١٩٦٠.

ابن سعيد (المتوفى عام ٦٧٣هـ علي) المغرب في حلى المغرب - تحقيق الدكتور شوقي ضيف - ط . دار المعارف . مصر ١٩٦٤ .

ابن سناء الملك (المتوفى عام ٦٠٨ هـ ابو القاسم عبدالله بن جعفر) دار الطراز في عمل الموشحات - تحقيق الدكتور جودت الركابي ط .الكاثوليكية : بيروت ١٩٤٩ .

الطبري (المتوفى عام ٣١٠هـ ابو جعفر محمد بن جرير) تاريخ الامم والملوك - تحقيق جماعة من العلماء - (لم تذكر اسماؤهم) ط. الاستقامة ، القاهرة ١٩٣٩ .

ابن عبد ربه (المتوفى عام ٣٢٩ هـ ابو عمر احمد بن محمد) العقد الفريد -

تحقيق احمد امين وجماعه - ط : لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
القاهرة ١٩٦٥ .

عنان (عبدالله) دولة الاسلام في الاندلس . ط . لجنة التأليف والترجمة.
والنشر . القاهرة ١٩٦٠ .

غومس (اميليو غرسية) الشعر الاندلسي — ترجمة الدكتور حسين
مؤنس — ط : النهضة المصرية . القاهرة ١٩٥٦ .

ابن الفرضي (المتوفى عام ٣٥١ هـ ابو الوليـــد عبدالله بن محمد بن نصر)
تاريخ علماء الاندلس . ط بلا غرللدة - مجريط ١٨٩٠ م

ابن القوطية (المتوفى عـــام ٣٦٧ محمد بن عمر بن عبدالعزيز) تاريخ فتح
الاندلس . ط : المحروســة : مصر (لم نعثر على تاريخ الطبع)

الكريم (مصطفى عوض) فن التوشيح. ط . دار الثقافة، بيروت ١٩٥٩

الكيلاني (كامل) ديوان ابن زيدون : ط : مصطفى البـــابي الحلبي ،
مصر ١٩٣٢

المراكشي (المتوفى ٦١٨هـ عبدالواحـــد) البيان المغرب في اخبار ملوك
الاندلس والمغرب - تحقيق ج . س . كولان والبفي بروفنسال -
ط : دار الثقافة بيروت (لم يذكر تاريخ الطبع)

المسعودي (المتوفى عـــام ٣٤٦ هـ ابو الحسن علي بن الحسين بن علي)
مروج الذهب : ط . دار الاندلس - بيروت ١٩٦٥

المقري (المتوفى١٠٤١هـ شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني) نفح الطيب
من غصن الأندلس الرطيب — تحقيق احمد فريد رفاعي —
ط : عيسى البابي الحلبي . مصر (لم يذكر تاريخ الطبع)

نيكل (أ. ر) مختارات من الشعر الأندلسي — اشرف على طبعه وقدم له الدكتور عمر فروخ — ط : الكشاف . بيروت ١٩٤٩

ابن هاني (المتوفى عام ٣٢٦هـ ابو القاسم محمد) الديوان ط دار صادر بيروت ١٩٦٤

هلال (محمد غنيمي) الأدب المقارن . ط العالمية : القاهرة ١٩٦٢

مراجع اسبانية

1) E Milio Garcia Gomez
cinco, poetas, Musul Manes, P. 149, E, Espasa. Calbe, Madrid,1944

ج) Felix, M, Pareja.islamologia, II, P. 887-888 E. Razonyfe Madrid 1952.

3) Juan, Vernet Gines, Los, Musulmanes Espanoles p. 1ﮞ1 E. Ediciones, Sayma, Barcilona, 1961

4) Micuel, Asin,Palacios, Obras, Escogidas II, III,p82 E· G. S. I.C, Madrid 1984.

5) Miguel, Asin, Palacios, Crestomatia De Arabe Leteral con Glosario Y
Elementos De Cramatica, P, 152, E, Esguela Estodios Arabes. Madrid, I936

6) Joan, Corominas.
Breve Diccionario Etimolo Gicodela Lengua Castellana P.304,E Gredos Madrid, 1997

7) Varios
Diccionario De Historia De Espana (I) p.13
E. Revista De Occidente. Madrid 1952

8) E. Levi - Provencal y Emilio Garcia Gomez
Una Cronica Anonima De Abd Al-Rahman III
Al-Nasir. p 16 E. C. S. I. C. Madrid. 1950

9) Angel Gonzalez Palencia. Historia De La
Literatura Arabigo - Andaluza. p 69
E Labor. Barcelona 1945.

10) C. Perez Bustamante Compendio De Historia
De Espana. 8ª, E. R. A. H. Madrid 1957



الفهرس

للمؤلف

تحت الطبع

(١) احاديث
عن الادب العباسي

(٢) دراســـات
في النقد والبلاغة والعروض

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٩٤ لسنة ١٩٧١

مطبعة الايمان ٤ / ٣٠٠٠ / ١٩٧١